مغامرات

أرسين لوبين

الرجل السادس



٥٠ مليما

الفصـــــل الاول

حفزت بواعث العمل ارسين لوبين الى السفر الى بنزانس وان لم يعلم احد على وجه التأكيد طبيعة هذا العمل ·

استصحب لوبين هوبى بريجز معه · ولـــكن هوبى يستطيع ان يقسم باغلظ الايمان على انه لم ير لوبين يعمل شيئا: اوقف لوبين سيارته امام احدى الحانات ودفع هوبى الى داخلها وتركه هناك ساعة كاملة ·· وكان هذا كل شيء !··

فاين امضى لوبين هذه الساعة ··؟ يحتمل انه قضاها فى حانة اخرى عبر الطريق لم يتحدث فى خلالها الى احد ولم يراقب شيئا ··· ولا عجب فى هذا فاعمال لوبين فى الاغلب والاعم وحى الساعة · فاذا ما ساقت اليه الظروف حادثا معينا اتخذ منه تكأة للعمل وكان له فى أتفه الاشياء ما يحفزه الى اعظم المغامرات ·

والمسافة بين لندن وبنزانس تبلغ نحو ثلاثمائة ميـــل قطعها لوبين فى خمس ساعات ولم يقف أثناء الطريق الا مرة او مرتين ليتناول قدحا من البيرة الساخنة · وبعد أن ترك هوبى فى الحانة ساعة اتى فيها على زجاجة من الويسكى رجع اليه واخذ بيده ومضى به الى السيارة فانطلقت مرة اخرى فى نفس الطريق راجعة الى لندن ·

ستمائة ميل يقطعها لوبين فى عشر ساعات متتابعة ذهابا وايابا دون ان يعمل شيئا ··! فهل هناك يا ترى سر يخفيه ؟

لو ان شخصا آخر غير هوبى بريجز هو الذى صحب لوبين لدار هذا السؤال مرة بعد مرة · ولكن هوبى رجل اكبر مزاياه انه عاجز عن التفكير · وقد يحمل على ظهره مائة كيلو ساعة او ساعتين فلا ينبض له عرق ولا يتصبب جبينه عرقا· أما اذا فكر دقيقة واحدة فقد انبعثت فى ثنايا وجهـــه دلائل الاعياء وبدا عليه كأنه مريض منذ سنة او سنتين ·

ومن أجل هذا جلس هوبى بريجـــز الى جـــوار لوبين والسيارة الهيرونديل متجهة الى لندن فى محاذاة الشاطىء لا تشغل ذهنه أية فكرة ولا يدور فى رأسه سؤال واحد ·· كان يمضغ طرف سيجارته وفى قسمات وجهه ما ينم على الاطمئنان والهناء كأنه يعيش فى جنة حرم فيها التفكير ·

وتجاوزت السيارة صخور كورنول وخلفتها وراءها · واشرفت على مروج ديفون وارضها ذات اللون الاحمر · وفى خلال ذلك تغيب برهة عن البحر اذ تمرق داخل بعض الغابات الصغيرة او تختفى بين التلال القائمة ·

ولم يكن فى سلوك لوبين ما يشجع من يرافقه على مبادلة الحديث ، فقد كان منصرفا الى عجلة القيادة يطوى الارض طيا كأنه فى ميدان للسباق ، ولم تكن هذه أول مرة استصحب فيها هوبى ، فلم يكن يجهل من طباع زعيمه أنه لا يتكلم الا اذا طاب له الكلام ، وانه لا يحب ان يقطع عليه أحد تفكيره بسؤال سخيف تافه ·

ولبث هوبى صامتا لا يتفوه بكلمة واحدة ، ولم يجرؤ على ان يقطع حبل السكون الا مرة واحدة حين أطلق لوبين صوت بوقه محذرا ، وانحرف الى جانب الطريق ليسبق سيارة أخرى مقفلة كانت تتقدمه ، وكان الطريق ضيقا لا يكاد يتسع لسيارتين لا سيما اذا كانت الاولى منهما تكاد تتوسط الشارع ·

اطلق لوبين صوت النفير واندفع مسرعا لا يلوى على شيء ، فمر الى جانب السيارة مرور السهم وكان يمسها لولا براعته فى القيادة ، فاضطر قائد السيارة الاولى الى الانحراف الى اليمين فى حركة حادة ليتفادى الاصطدام ، على حين تابعت (الهيرونديل) طريقها كأن لم يحدث شيء هام ·

وقال هوبى وأنفاسه متسارعة مبهورة :

ـ يا الهى ·! لقـــد ظننت يا زعيمى انـــا ترديـنا فى الهاوية ·

فابتسم لوبين ونظر فى المرآة العاكسة الموضوعة امامه
وقال فى صوت رقيق :
ـ لسنا نحن الذين تردينا فى الهاوية .. أنظر خلفك !
وادار هوبى راسه الضخم ونظر الى الوراء فاذابالسيارة
الكبيرة المقفلة مائلة الى الناحية اليمنى وقد غاصت عجلاتها
فى حفرة من الحفرات الكثيرة الممتدة على جانب الطريق وراء
سياج الاعشاب .

ومرت الهيروندل باربعة تلال أخرى ومرقت من مآزق
مماثلة دون أن تتهشم . وفجأة لاح لهما بناء رمادى اللون
فى بقعة منعزلة ، فنحى لوبين سيجارته عن فمه وأشار الى
البناء قائلا :

ـ أتعرف هذا المكان يا هوبى ؟

فحملق هوبى برهة فى المنزل الرمادى ثم قال :

ـ يخيل الى يا زعيمى انه سجن .

فابتسم لوبين وأحنى رأسه مومئا وهو يقول :

ـ نعم انه سجن . يخيل الى انك خبير باشكال السجون
على انى ارجو ان تكون خبرتك قاصرة على اشكالها من الخارج
لا من الداخل .

وبعد سكتة قصيرة أردف يقول :

ـ هذا هو سجن لاركستون الذى لا يستضيف الا أسوأ
المجرمين فلا تجد فيه من حكم عليه باقل من سبعة أعوام ،
ولطالما قال لى المفتش « تيل » أنه يتمنى أن يرانى أنزل ضيفا
على هذا السجن .

وارتقت السيارة منحدرا ثانيا ودارت فى منعطف من
الطريق ، فما لبث البحر أن انكشف لمن فيها وقد تناثرت
البيوت على شاطئه مشرفة على ذلك المنظر الجميل ، لا سيما
والشمس تنطوى كل مساء فى البحر .

ولما بلغ لوبين اقصى القرية أوقف السيارة وقال :

ـ أظن أن فى هذا الكفاية الليلة . ؟

فلما وعى هوبى معنى هذه الكلمات ارتسمت امارات
الدهشة على وجهه وقال :

ـ ماذا . ؟ الا تنوى ان تعود الليلة الى لندن ؟

فهز لوبين راسه نفيا وقال :

ـ ليس الليلة يا هوبى ، بل ان من المحتمل أن تطول
اقامتنا فى هذا المكان .. ماذا ؟ ألا تروقك هذه المناظر الطبيعية
الخلابة ؟ قد تتكشف اقامتنا هنا عن مغامرة جديدة .. عن
حياة روائية شائقة .. عن غادة حسناء مكروبة .. فاذا لم
تبال بشىء من هذا فحسبك أن تعلم أن فى هذه الحانة بيرة
جيدة ، فاذا لم تروقك البيرة فلك أن تطلب برميلا من الويسكى
.. هيا بنا يا صديقى !

ونهض هوبى واقفا ونزل من السيارة وعبر الطريق .

لم يكن هوبى من طراز تلذ له المغامرات والحوادث الروائية
اما الفتيات المكروبات فلسن فى الواقع الا اولئك الفتيات
اللائى ملأ هو نفسه قلوبهن كربا وحزنا ، ولكن مهما يكن من
الامر فالظاهر كما قال زعيمه ان فى هذه الحانة برميلا من
الويسكى .. والويسكى هو الشىء الوحيد الذى يلتمس فيه
هوبى العزاء والسلوى !

كان الفندق الذى اختلفا اليه مشيدا على الطراز العتيق
وفى جدرانه ونوافذه ما يتفق وحال هذه القرية الحقيرة المنقطعة
عن العالم .

وفى صدر الردهة سلم عتيق يفضى الى الطابق الاعلى ،
وفى الركن الايمن منها طاولة البار ممتدة وفوقها الاقداح
والكؤوس تستهوى الابصار .. بصر هوبى بريجز على الاقل .
وقال لوبين :

- اليك ما تشتهي نفسك ·

وخلف الطاولة ستار مسدل برز من ورائه رجل أشيب الشعر على عينيه نظارة تتألق من ورائها عيناه الضيقتان · فالقى اليهما بالتحية فقال له لوبين :

- أريد قدحا من البيرة ونصف زجاجة ويسكي ·

فملأ الرجل الاشيب قدح البيرة من برميل صغير وقدمه الى لوبين وهو يقول متسائلا :

- وكأس من الويسكي ؟

وكان للرجل صوت رقيق ووجه يدل على الطيبة وسلامة النية · فكره لوبين أن يذهله ويفزعه · ولكن لم يكن هناك مفر من أن يؤدي واجبه حيال صديقه قبل كل شيء · فقال :

- بل نصف زجاجة ·· ؟

- اتحب ان الفها · ؟

فقال لوبين وقد بدأ يرثى للرجل : أظن أنه لا داعي لذلك ·

وتناول صاحب الحانة نصف زجاجة من فوق الرف وضعها على الطاولة وناولها لوبين الى هوبي · فرفع هذا سدادتها وثبت فوهتها على فمه ومضى يفرغ محتوياتها في جوفه في هدوء ·

وتحول لوبين الى صاحب الحانة الذي كان واقفا يرقب ما يجري في ذهول كالمسحور فقال له لوبين :

- لعلك أدركت من هذا أن من بواعث الاقتصاد ان أشتري الويسكي لصديقي بالجملة بدلا من القطاعي ·

وجعل الرجل الاشيب يحملق في هوبي مفغور الفم دون أن ينطق بكلمة واحدة ·

ورفع هوبي الزجاجة عن فمه وقد أجهز على ما فيها فوضعها على الطاولة ومسح فمه بكمه ثم تنهد وقال في لهجته

الامريكية المأثورة عن رجال العصابات مخاطبا صاحب الحانة:

- انك لم تر شيئا بعد ·· في أمريكا حيث نشأت يلقبونني بالصحراء التي لا ترتوي ·

وكانت هذه اول مرة تكلم فيها هوبي مذ دخل الى الحانة·

وما سمع الرجل الاشيب هذه الكلمات حتى غاضت الدماء من وجهه وامتقع لونه · وأفلتت اصابعه الورقة المالية التي أخذها من لوبين · وجعل يحملق في هوبي في ذعر وفزع كأنما رأى أمامه شيطانا · أو كأنما يتوقع أن ينقض عليه هوبي فيخنقه ويقتله لساعته ·

لبث الرجل في فزعه لحظة ثم انحنى وغاص خلف الطاولة ليلتقط الورقة المالية التي وقعت على الارض ·

فلما استردها قال في صوت متهدج : عن اذنكما · وغاب خلف الستار ·

ووضع لوبين قدح البيرة على الطاولة وتناول سيجارة دسها بين شفتيه وهو يفكر : ان اشد المعجبين بهوبي بريجز لا يستطيع ان يزعم أن صوته قبيح الى درجة تبعث الرعب في القلوب · اما هذه اللهجة الامريكية الركيكة غير المفهومة فهي اللغة الوحيدة التي يحذقها هوبي · حقيقة ان صوت هوبي شبيه بصوت المنشار · ولكن لوبين لم ير من قبل شخصا أفزعته حشرجة المنشار ·· فما هي اذن البواعث التي أفزعت صاحب الفندق حين سمع هوبي يتكلم ؟

كان هوبي بريجز في خلال ذلك يحملق في الستار الذي توارى صاحب الحانة خلفه ·· جعل ينظر اليه وفي ثناياوجهه بلاهة مضحكة كأنه يمثل شخصية مجنون أبله على أحد المسارح ·

ثم قال : هل لاحظت ما حدث يا زعيمي ؟

فقال لوبين مبتسما :

- طبعا لم الاحظ شيئا .. انك تعرف الى صعوبة الملاحظة .

فصدق هوبى قوله وقال :

- اذن كيف ترميني بالغباوة مع انى فطنت الى ماجرى؟

- هذا لانك قوى الملاحظة .

- لقد نظر الى صاحب الحانة فى فزع كانه يتوقع ان افرغ رصاص مسدسى فى صدره !! أترى تكلمت بما لا ينبغى ان انطق به ؟!

فهز لوبين راسه فى حيرة وقال :

- لا ادرى يا هوبى .. انك قلت انهم يلقبونك فى أمريكا بالصحراء التى لا ترتوى ، فمن المحتمل ان يكون الرجل حاقدا على الامريكيين . ومن المحتمل ان يكون حاقدا على الصحارى .

ولعله كان فى نية لوبين أن يسترسل فى الحديث لولا أن سمع وقع خطوات خلف الستار فتناول قدح البيرة مرة أخرى ورفعه الى فمه .

وللمرة الثانية نحى القدح عن شفتيه دون ان يرشف منه قطرة واحدة فقد برزت من خلف الستار فتاة حسناء واقتربت من طاولة البار .

اذا كانت هناك فتاة مكروبة فهى لا يمكن الا أن تكون هذه الفتاة . بهذا حدث لوبين نفسه : كانت نحيفة القوام هيفاء القامة يسترسل شعرها الاسود الغزير على كتفيها وجيدها العاجى أما عيناها فتتالقان فى فتنة وجاذبية . وكان لها فم ...

كان لها فم لاسبيل الى تمجيده والاعراب عن الاعجاب به الا بطريقة واحدة !

وحتى تامل وجنتيها النضرتين ذكر الطفولة المتحفزة الموثبة .

وقالت الفتاة : اسعدتما مساء .

وكان لها صوت موسيقى عذب خيل الى لوبين وهو يسمعه ان زجاجات الخمر المصفوفة على الرفوف اهتزت له طربا .

ونفث لوبين حلقة كبيرة من الدخان وابرقت عيناه ثم تحول الى هوبى بريجز قائلا :

- ما رايك فى فتاة تدعى جوليا ؟

ومن جانب عينه اختلس نظرة الى الفتاة وهى منهمكة فى تنسيق زجاجات الخمر . فرآها تجفل .

تحولت اليه الفتاة فى حركة سريعة ورمته بنظرة متفرسة فابتسم لوبين فى وجهها وقد عرف أنه قد أصاب .

وقال لوبين يخاطبها : ها أنذا قد حضرت .

فارسلت الفتاة بصرها الى هوبى ثم ردته الى لوبين وفى ثنايا وجهها خوف ممزوج بالشك .

ثم قالت : انى لا أفهم ما تعنى .

تاملها لوبين برهة ثم قال فى صوت خافت :

- انني أدعى تومز .

وعقد ذراعيه على صدره . واسترسل يقول :

- لقد حجزت غرفة فى فندقكم بخطاب ارسلته اليكم منذ يومين الم يصلكم ؟

لبثت الفتاة ساكنة لحظة ثم رفعت اليه عينيها وقد تالق فيهما بريق الامل وقالت :

- آه طبعا .. انى آسفة .. لم أعرفكما فى أول الامر اظنك لم تختلف الى فندقنا من قبل ؟

فقال لوبين مجيبا : كلا بكل اسف .

ثم ابتسم وأردف يقول :
ـ ولكني كنت اجهل اذ ذاك مقدار الخسارة التي تكبد
بها !
وللمرة الثانيـــة نظرت الفتاة الى هوبى فى شىء من
القلق وقالت :
ـ سآمر الخادم بنقل حقائبك ·
وحين تحولت ورأى لها لوبين هذا القوام المشـــوق
طاب نفسا وعرف أنه لم يضيع الوقت سدى وان المغامرة التي
سيقدم عليها توشك ان تتكشف عما يفتنه ·
فى هذا الفندق القريب من سجن لاركستون رجـــل
يستولى عليه الفزع ··· ولفتاة مكروبة لها جمال تتكشف
عنده الابصار ··· وفى هذا ما تشتهى نفسه ·· فى هـــذا
ما يوحى بان هناك مغامرة عاصفة ستشغله فى الايام القليلة
المقبلة !
وتنهد لوبين جـــذلا فهو رجل لا تطيب له الا حيـــاة
المغامرات ··· !

الفصل الثانى

كان هوبى يرتجز طول هذه الفترة فريسة للقلـــق
والانزعاج اذ وثب الى ذهنه سؤال عويص لا يجد عنه جوابا
واخيرا لم يطق صبرا فقال اذ احتوتهما الغرفة المخصصـــة
لهما :
ـ يا زعيمى ·· ما هى الحكاية ··؟ أهناك عيب فى
فنظر اليه لوبين فى شىء من الرحمة وقال :
ـ انك لا تشرب الا الويسكى فلا عجب اذا نظر اليك
الناس فى استغراب كما ينظرون الى حيوان عجيب ··يخيل
الى يا هوبى انك اذا شربت قطرة من الماء تسمم جسدك :
واسترسل هوبى يقول :

ـ عندما تكلمت للمرة الاولى نظر الى صاحب الحانة فى
فزع كأنما سأنقض عليه واقتله · وعندما جاءت الفتاة رمقتنى
بنفس النظرة الفزعة المضطربة كأنى حيوان مفترس ··طبعا
يا زعيمى انى لا أعتبر نفسى رودلف فالنتينو ولكنى وجدت
فيما مضى نساء كثيرات هِمن بى غراما ·
فقال لوبين على الفور : نساء كفيفات طبعا !
فلم ينظر الى هؤلاء تلك النظرة الخائفة ؛ ابعقولهم جنة
ام انا المجنون الذى اتوهم وقوع اشياء لم تقع ؟
وصمت لوبين برهة وهو ماض فى تدخين سيجارته ·
ثم نظر الى هوبى من خلال سحب الدخان وقال :
ـ أخشى يا عزيزى هوبى أن آكون قد خدعتك ·
فقال هوبى مرددا فى بلاهة : خدعتنى ···؟
ـ الواقع أننا لم نحضر الى هذا الفندق لان المـــكان
اعجبنى عرضا ونحن فى الطريق · وانما جئنا لغرض معين ·
فتروى هوبى برهة وقلب هذه الجملة فى ذهنه حـــتى
وعى معناها وقال :
ـ آه ·· فهمت ·· اذن عندما قلت انك تدعى تومز ··
فقاطعه لوبين بقوله :
ـ ان تومز هو الاسم الذى انتحلته هنا فارجوك ان
تعيه فى ذاكرتك فلا تنادينى باسم لوبين ·
ـ لن آنساه يا زعيمى ·· لقد نقشته فى مخى ·
ـ هذا اذا كان لك مخ ·
وضحك هوبى فى بلاهة لمزحة زعيمه وقال :
ـ والغرفة التى حجزتها ؟ فتنهد لوبين قائلا :
ـ هذه مسألة أخرى فى حاجة الى شىء من الايضاح
فاصغ الى ·

وتناول جاكتته الملقاة على المقعد وأخرج من جيبها مظروفا نشره تحت ضوء المصباح وقال :

ـ استمع الى هذا الخطاب . ثم شرع يتلو الخطاب على صاحبه :

« عزيزى مسيو لوبين .

« ليس لى الحق فى ان ابعث اليك بهذا الخطاب . ومن المحتمل جدا انه لن ينتهى الى يديك .. اننى لم اقابلك من قبل ولست أعرف اذا كنت شابا أم كهلا .. وقليلون هم اولئك الذين يعرفون حقيقة أمرك . ولكنى قرأت عنك كثيرا واعتقد أنك الرجل الوحيد الذى يستطيع أن ينير ذهنى وأن يرفع عنى العبء الذى يبهظ قلبى ويثقل على .

« لقد قرأت فى الصحف أن المفتش تيل من أعز اصدقائك على الرغم مما بينكما من خلاف فى الرأى وفى وفى المهنة . وقرأت أيضا أن احب اسم اليك من الاسماء المستعارة انما هو تومز فرأيت أن أكتب اليك هذا الخطاب وأرسله الى المفتش تيل داخل مظروف مع رجائى اليه بأن يرسله اليك . » وقد استحلفته بشرفه ان لايفضه ولا يطلع على ما فيه . وقلت له : « أرجوك يا سيدى المفتش أن ترسل هذا الخطاب الى صديقك مستر تومز او بعبارة أخرى ارسين لوبين . فان لم تطب لك هذه المهمة فاستحلفك بشرفك أن تلقى الخطاب طعمة للنيران ولا تقرأ حرفا واحدا منه .

« فان وصلك هذا الخطاب فارجوك أن تخف الى نجدتى

« ان هذا الفندق قديم عتيق يرجع تاريخه الى القرن السادس عشر وصاحبه هو عمى وهو شيخ عجوز كان فيما مضى تاجرا ثم اعتزل العمل لشيخوخته وآثر أن يتولى ادارة هذا الفندق . اما ابى فمات فى جنوب افريقيا منذ خمسة شهور . فجئت لاقيم فى كنف عمى اذ لا أعرف لى من أهل

من هو ابر بى منه واحن قلبا .

« وفى هذا الفندق تقع اشياء غريبة شاذة يا عزيزى مستر تومز .. ولست أدرى فى الواقع كيف استرسل فى الحديث ... فالامر كله يبدو للوهلة الاولى اوهاما لا أثر لها من الحقيقة حتى لاخشى أن تعتقد أنى مجموعة اعصاب .

« ولكنى اسمع فى اثناء الليل وقع اقدام اشخاص يجولون فى انحاء الفندق وانا أعرف عن يقين أن ليس فى الفندق مخلوق . وفى بعض الاحيان اسمع دويا وقلقلة صادرة من باطن الارض دون أن أدرى لها تعليلا . واخيرا رأيت هنا رجالا ذوى وجوه بشعة وفى سيماهم ما يدل على القسوة والبطش .

« لعلك تقول الآن فى نفسك أنى طفلة تتعلق بالاوهام او انى فتاة ذات مزاج عصبى يهيء لها اشياء لا ظل لها من الحقيقة . وليس فى وسعى أن ادعم اقوالى بالدليل الحاسم ولا ان اقنعك بأن ما اقول ليس مجرد تخيلات .

« ليس فى وسعى بطبيعة الحال أن أمضى فى الكتابة على هذا النحو ولكنى ارجوك ان لا تقذف بخطابى الى سلة المهملات .. اذا اتفق لك فى يوم من الايام أن مررت بهذا الطريق واتسع وقتك للحضور الى الفندق فاتوسل اليك الا تتردد فى ذلك ... انى أتمنى أن تمضى لدينا ليلة أو ليلتين كأنك زائر عادى لتتحقق من الامر بنفسك ولتعلم انى لست مخبولة أهذى .

« ان عمى يؤكد أنى واهمة . ولكنى أقرأ فى ثنايا وجهه انه هو ايضا خائف فزع .. نعم ان الخوف مستول عليه على الرغم من انكاره ومن محاولته التظاهر بالجلد وقلة الاكتراث

« هناك اشياء غريبة تجرى فى هذا الفندق ... اشياء ستؤدى حتما الى بعض المتاعب . ولما كنت اعلم انك موضع

بالمتاعب وبالنضال فقد رايت ان ابعث اليك بهذا الخطاب عسى ان تحضر لترى بنفسك .

« انى لاتمنى ان اتمكن من اقناعك .

« جولياترافورد »

حين فرغ ارسين لوبين من تلاوة هذا الخطاب انعقد ما بين حاجبى هوبى بريجز دلالة على التفكير وقال :

ـ جوليا ..؟ اليس هذا هو اسم الفتاة التى تحدثنا اليها فى البار ؟

ـ اظن ذلك .

ـ وهل هى التى كتبت اليك هذا الخطاب ..؟

ـ نعم وقد رددت عليها بانى ساحضر على الفوروطلبت منها ان تحجز لى غرفة تحت اسم تومز .

ـ اذن فقد حضرنا الى هذا الفندق لغرض معين ؟

ـ نعم لنتحقق مما تزعمه الفتاة فقد تكون محمومة تهذى وقد تكون صادقة فيما تقول . وان الاصوات التى تسمعها قد تكشف عن شر مستطير .

فاحنى هوبى راسه مؤمنا وقدبدات الامور تنجلى لعينيه وان كانت هناك نقطة لا تزال غامضة عليه . فقال :

ـ وما علاقة هذا كله بفزع الفتاة وصاحب الفندق حين رايا وجهى . ؟

فلم يجب لوبين على هذا السؤال وانما وثب عن الفراش ومضى الى النافذة فاشرف منها على القرية الممتدة فى محاذاة البحر .

كان النهر ينساب بين التلول متعرجا لينتهى الى خليج صغير فى البحر يتدفق فيه الماء . وهناك على مرمى البصر جرف كبير من الصخور التى يضرب لونها الى الاحمرار وقد نمت الاعشاب عند سفوحها .

وكانت قوارب الصيد منتشرة عند مصب النهر وبعض البحارة يروحون ويجيئون على الشاطىء او ينشرون الشباك استعدادا لاقتناص الاسماك اذ كانت هذه المنطقة مشهورة بالحيتان الصغيرة .

لم تكن تستشرف العين مما ترى الا هدوءا وسلاما وحياة وادعة ساكنة لا اثر فيها للشر ولا يمكن ان توحى بان هنا مكائد تدبر فى الخفاء ولكن مهما يكن من الامر فقد جاءلوبين الى هذه القرية ليتبين الحقيقة : أهذا الذى يتراءى ستار كاذب يخفى وراءه الآثام والخطايا ..؟

وتناول لوبين سترته وارتداها وقد تألقت على شفتيه ابتسامة لطيفة وقال يخاطب هوبى بريجز فى رقة وعطف :

ـ اذا أزعجتنى مرة أخرى باسئلتك السخيفة قتلتك .

ثم غادر الغرفة مخلفاوراءه هوبى ليتدبر الامروليحاول ان يهتدى الى حل المشكلة العويصة التى تشغل ذهنه .

عبر لوبين ردهة المطعم وخرج الى الطريق اذ كان فى حاجة الى خريطة يأتى بها من سيارته ليتبين فيها معالم المنطقة ومزاياها . فلما أتى بها ورجع الى الفندق أخذت عينه عند الباب لوحة زودته بمعلومات جديدة اذ كان هذا نصها :

« مارتن جيفرول »

« مصرح له ببيع النبيذ والبيرة والخمور والتبغ »

فرجح لديه ان جيفرول هو ذلك الرجل الاشيب الذى استولى عليه الفزع حين سمع هوبى بريجز يتكلم .

دخل لوبين الى البار واشعل سيجارة .

وخف جيفرول الى استقباله فلما دعاه لوبين الى مشاطرته الشراب اعتذر شاكرا . وطلب لوبين لنفسه قدحا من البيرة الساخنة فسارع الرجل الى تقديمه بطريقة تدل على الاحترام منذ دقائق كان جيفرول باذى الرعب والخوف . أما

الان فقد استرد هدوءه وعاوده ثباته ولم تعد سحنته تنم عن
شيء مما يجرى فى نفسه .. كان ملقيا على ملامحه ستارا
من التحفظ والتكتم . وعلى الرغم من محاولة لوبين استدراجه
الى الحديث فقد ابى الا ان يلوذ بالصمت مكتفيا بالقاء اجابات
مقتضبة .

ثم دار على عقبيه وتوارى خلف الستار تاركا لوبين
وحده .

وهز لوبين كتفيه فى قلة اكتراث وتناول قدح البيرة
ونظر الى صورته فى المرآة وانحنى رأســـه لصورته وشرب
نخب نفسه .

وحين هم بان يضع الكاس على طاولة البار راى علـى
صفحة المرآة صورة رجل آخر دخل الى الفندق فى هــذه
اللحظة .

تحول لوبين بلا اهتمام وتفرس فى القادم شان المرء
الخلى القلب حين يدير عينيه بلا غاية معينة فى كل من يمر به
مترقبا فرصة لتبادل حديث سخيف يشغل به الوقت .

ولكنه لفرط دهشته لاحظ ان القادم يتجه اليـه فى
خطوات سريعة .

وقف الرجل على قيد خطوة من لوبين وقال :

ــ هل السيارة الواقفة بالباب سيارتك ..؟

وكان صوته خشنا فيه نبرة تدل على القحة . فــلم
يطب حديثه للوبين وجعل يطيل النظر الى مخاطبه فى قلة
اكتراث .. واضحكه شكل الرجل اذ كان له شعر احمر لا
يأتلف مع لون البذلة الحمراء التى يرتديها . حتى ليظن من
يراه انه تمرغ فى تراب هذه المنطقة المعروف بلونه الاحمر
فتلوث شعره وثيابه بهذا اللون .

وقال لوبين فى برود :

ــ نعم ان لى سيارة بالخارج . هيروندبل ذات لون احمر

فقال الرجل فى وحشية :

ــ اذن فانت ذلك الحقــير الذى كاد يصــدمنى ويدفع
بسيارتى الى حفرة بالقرب من سيدموث ..

وادرك لوبين السر فى غضبة الرجل وثورته . وقال
فى لهجة تنم على المرح :

ــ يا الهى ..! امضيت كل هذا الوقت فى اخــراج
السيارة من الحفرة ..؟

فقال الرجل مزمجرا : ماذا تقول ..؟

فأجابه لوبين بنفس الهدوء المعهود :

ــ اقول هل امضيت هذا الوقت كله فى انتشال السيارة
من ورطتها ..؟ أم لعلك لا تريد أن اوجه اليك هذا السؤال؟
الا تزال سيارتك فى الحفرة فاضطررت أن تأتى ماشيا ..؟

وتقدم ذو الشعر الاحمر خطوة اخرى الى ناحية لوبين .
ثم قال فى صوت وحشى :

ــ كف عن هذا المزاح الثقيل .. الا تعلم انك كدت
تقتلنى بقيادتك الهوجاء ..!

فقال لوبين فى نبرة هادئة :

ــ لقد تمنيت أن اقتلك .. انى أحب عادة أن اقتــل
اولئك الحمقى الذين لا يتخيرون لسياراتهم الا وسط الطريق
لو انك مت لاتسع الطريق قليلا ..

فصاح الرجل وهو يرتعد : قل ذلك مرة أخرى ..!

فرفع لوبين حاجبيه قليلا .

ولم يكن هناك شك فى غباوة ذى الشعر الاحمر ، فلو انه
كان على حظ من الذكاء لادرك ان هذا الرجل (حتى ولو لم

يعرف إنه لوبين) لا يمكن ان يتكلم بمثل ما يبدي من سكينة وتسلط على اعصابه الا اذا كان من طراز يخشى بأسه ، ولكن الغضب أعماه فغابت عنه الحقيقة :

نظر اليه لوبين ثم قال :

ـ هل انت يا عزيزى اصم لا تسمع ٠ ؟ لقد قلت ٠٠

وما نطق لوبين بهذه الكلمات حتى ثارت غضبة الرجل ودفعته الحماقة الى ما لا ينبغى ٠٠ كان لوبين قد وضع قدح البيرة الى جانبه ، فما كان من ذى الشعر الاحمر الا ان اختطف القدح فى سرعة عجيبةوطوحه بذراعه ونثر محتوياته على وجه لوبين وثيابه ، ثم قذف بالقدح الى الارض فتهشم !

نظر لوبين الى بقايا القدح المهشم ، ثم الى آثار البيرة العالقة بثوبه وأخرج منديله ليجفف وجهه وبذلته ٠

كان لوبين يبتسم فى هذه اللحظة ٠

واذا ما ابتسم لوبين ارتد أشد رهبة وبطشا ٠٠!

قال لوبين فى صوت هادىء :

ـ لقد ارتكبت عملا يدل على الحماقة والطيش ٠

وفى سرعة البرق تحركت يده كأنها قنبلة منطلقة من فوهة مدفع ٠

لم ير ذو الشعر الاحمر يد لوبين وهى تتحرك ، لم ير اللكمة وهى مسددة الى فكه ، خيل اليه عند ما شعر باللكمة ان صخرة هائلة وثبت فجأة من الارض فاصابت انفه وفمه وارسلته مترنحا الى الخلف وآهات التوجع تصدر من حلقه حتى التصق بالجدار ٠

تماسك الرجل وهو مستند الى الجدار ونظر الى لوبين فرآه يبتسم وهو يجرى منديله على ثوبه ٠

ثار الرجل غضبا للمرة الثانية ، ولم يفده الدرس الذى تلقاه ، فوثب الى ناحية لوبين وجمع قبضته وفى نيته ان

يهشم هذه الابتسامة المثيرة ، هذه الابتسامة المحطمة للاعصاب ٠٠!

طوح الرجل بذراعه وقد جمع فى لكمته كل قوته ، اتجهت اللكمة الى الابتسامة الجنونية ، ولكن الوجه المبتسم اهتز قليلا ، انحرف الى اليمين ، ولم يكن ذو الشعر الاحمر قد عمل حسابا لهذا الانحراف فاصابت ضربته الهواء ٠٠ وترنح ٠

كان مفروضا ان يجيب لوبين على هذه اللكمة الطائشة بلكمة أخرى ولكنه لم يجشم نفسه هذا العناء ، لقد تولت طاولة البار هذه المهمة عنه ٠!

حين ترنح الرجل اختل توازنه فانكفأ على طاولة البار وارتطم فكه وأنفه بها ، تراقص المكان أمام عينيه ، وبدأ الظلام يسود الردهة ، ثم هوى الى الارض واستغرق فى النوم ٠!

برز جيفرول من وراء الستار وفى أثره ابنة أخيه جوليا ، وجعلا ينقلان بصرهما بين لوبين وذى الشعر الاحمر ومن النظرة التى ارسلاها اليه ادرك انهما يعرفان ذا الشعر الاحمر حق المعرفة ، وان فيما فعل ما طابت به نفسهما ٠

الفصل الثالث

كان جيفرول هو اول من قطع حبل السكوت بقوله :

ـ ما الذى حدث ٠ ؟

فهز لوبين كتفيه فى طهارة الحمل الوديع وقال :

ـ الحق انى لا ادرى من الامر شيئا ، رأيته يدخل الى الفندق وهو بادى الانفعال والهياج ، ويظهر انه ضرب راسه بالجدار ، ولست أدرى لم فعل ذلك ، ولكن الناس تختلف كما تعلم فى مشاربها وأهوائها ، لقد رأيت منذ بضعة أيام

رجلا مولعا بالسير على يديه . اما هذا الرجل فمولع فيما تلوح بضرب الجدران برأسه ، أهو صديق لكما . ؟

لم يجب جيفرول على هذا السؤال وانما خرج من وراء الطاولة ، وجثا الى جانب ذى الشعر الاحمر الممدد على الارض

ولم يغب عن لوبين أن يديه كانتا ترتعدان . وان فى حركاته ما يدل على ان اهتمامه بما حدث ليس اهتمام صاحب فندق يريد أن يدرأ عن فندقه ما يعكر صفو الامن .

وفى هذه اللحظه برز وجه هوبى بريجز وفى عينيه ما يدل على الدهشة والاستغراب ، فاسرع اليه لوبين .

كان هوبى متحفزا للنضال كانما يريد أن يبدأ معركة جديدة . وقال متسائلا :

ـ باى شىء ضربته يا زعيمى ..؟

ثم عقب على هذا السؤال بسؤال جديد قائلا :

ـ ولكن من يكون هذا الرجل ..؟

فاجابه لوبين بصوت خافت :

ـ انه صاحب السيارة التى انزلقت فى الحفرة عند سيدموث .

ثم أخذ بذراع هوبى فى مسكة عنيفة وقال :

ـ والان اغرب عن وجهى وأطبق فمك .. انى جائع فهيا بنا ناكل .

ودفعه الى غرفة المائدة وسار فى أثره اذ كان يخشى ان يفلت لسانه بما يكشف من السر يجب أن يكتم .

وكانت قاعة الطعام صغيرة ضيقة تشرف على سفح التل تنتظمها أربع موائد متراصة متلاصقة حتى لكانها مائدة واحدة .

ولقد دفع لوبين صاحبه هوبى الى قاعة الطعام حتى لا يسمع أحد أسئلته حين ينطلق بالحديث . ولكنه لسوء الحظ

الفى القاعة عامرة بنفر من الرجال . فالى مائدة منها يجلس اربعة رجال ما كادوا يرون لوبين داخلا حتى امسكوا عن الحديث .

كان الرجال الاربعة يرتدون قمصانا رمادية انحسرت اكمامها عن أذرعهم . أما بنطلوناتهم فكانت مثنية «مكرمشة» حتى لكانها لم تعرف الكى منذ شهور . كما كانت ملوثة بالتراب .

ويخيل لمن ينظر اليهم للوهلة الاولى أنهم من الجوالة المولعين بالتجول فى أنحاء البلادعلى سبيل الرياضة والتسلية فاذا كان الامر كذلك فلا شك فى أنهم بدأوا رحلاتهم منذ عهد قريب اذ كانت سواعدهم لا تزال بيضاء لم تلوح بشرتها أشعة الشمس .

اما أيديهم فكانت على النقيض من سواعدهم البيضاء خشنة تدل على أن أصحابها من أرباب الاعمال اليدوية ؟

وبدا الامر غريبا فى نظر أرسين لوبين : اذا كان هؤلاء القوم من الجوالة فلم ظلت سواعدهم بيضاء ..؟ وكيف يكونون من أرباب الاعمال اليدوية ولهم من المال ما يكفل لهم التجول فى انحاء البلاد دون ان يعنيهم امر البحث عن الرزق .. ؟

أما اذا لم يكونوا من الجوالة فكيف يعلل ارتداءهم هذه القمصان الرياضية وكشفهم الاكمام عن سواعدهم .. ؟

كان فى الامر تناقض بين يدعو الى الشك والريبة . واذا ما أضفنا الى ذلك اقلاعهم عن الحديث عند دخوله واخذهم انفسهم بالصمت التام تضاعفت الريب والشكوك .

القى لوبين على الرجال الاربعة نظرة عارضة شملتهم جميعا فى وقت واحد : كان أحدهم مديد القامة ضخم الجسم كالعمالقة وله لحية نامية لم تحلق منذ أيام . أما الثانى فكان

نحيف البنية اشقر الشعر له ذقن غائصة فى عنقه وثالثهم رجل أصلع الرأس تدل سحنته على ادمانه الشراب . أما الرابع فكان ضئيل الجسم وخط الشيب شاربه وعلى عينيه نظارة من طراز الباتسيه .

وفيما عدا هذه النظرة الشاملة لم يلق اليهم لوبين أية نظرة أخرى ولم يبد فى حركاته وايماءاته ما يدل على أنه مهتم بهم او بما يفعلون أو يقولون .

ودفع هوبى الى أحد المقاعد وجلس قبالته على المقعد الذى يمكنه من أن يرى كل ما يجرى فى الغرفة .

وتناول لوبين قائمة الطعام وجرى عليها ببصره فالفاها تتضمن من الالوان ما لم يخل منه فندق انجليزى : البطاطس .. السبانخ .. وأخيرا البودنج .

ووضع لوبين القائمة على المنضدة وتنهد فى شىء من الاسف وقال :

ـ ليت شعرى الا تقدم هذه المطاعم الريفية شيئا غير البطاطس ان ما أكلته فى حياتى من البطاطس يستطيع أن يمون جيشا باكمله . !

ولاح على هوبى بريجز انه لم يستمرىء مزحة زعيمه . ونم وجهه على أن هناك مشكلة عويصة تشغل ذهنه . ولم يخف عن لوبين ما يفكر فيه صاحبه .. انه يفكر بلا ريب فى الحوادث التى وقعت منذ لحظات وفى ذى الشعر الاحمر .

تكلم هوبى قائلا :

ـ هناك مسألة أحب أن ...

وخشى لوبين ان يفلت لسانه بما ينبغى ان يكتم فابتدره بقوله :

ـ ألم أقص عليك حكاية المعزة المحترمة التى كانت تسمى سيبالد . ؟

وكان جليا مما ارتسم على سحنة هوبى بريجز أنه لم يسمع من قبل حكاية هذه المعزة . وكان جليا أيضا انه لا يريد أن يسمعها وانما يريد أن يستفسر من زعيمه عن المشكلة التى تشغل ذهنه . فقال مقاطعا :

ـ يا زعيمى ..

ولكن لوبين استرسل فى اصرار قائلا :

ـ سيبالد معزة مشهورة بجمال شكلها .. ولك أن تكون واثقا من هذا الامر اذا علمت أن سيبالد كانت فى يوم من الايام مثار نزاع بين رئيس الوزارة وبين رئيس مجمع الفنون الجميلة . فقد رفع رئيس الحكومة قضية ضد رئيس المجمع يطالبه فيها بتعويض كبير لانه عرض فى معرض الفنون العامة صورة امرأة عارية وقد وقفت المعزة سيبالد على مقربة منها تتأمل جمالها العارى .

فقال هوبى مقاطعا :

ـ ولكن يا زعيمى المسألة التى اريد ان اسائلك عنها ..

فقرض لوبين على شفتيه واسترسل فى الكلام .. كان يريد أن يتابع الحديث باى شكل كان حتى لا يفسح لهوبى بريجز مجالا للكلام فقال :

ـ قلت لك أن المعزة كانت واقفة تتأمل المرأة العارية فغضب رئيس الوزارة لذلك لعلمه بأن سيبالد معزة مهذبة مؤدبة لا يمكن أن ترتكب هذا العمل الذى يدل على الوقاحة . فما كان منه الا أن رفع هذه القضية مطالبا بتعويض كبير .. وهذا الحادث قليل الاهمية فى الواقع بالنسبة الى الحوادث الاخرى التى عمر بها تاريخ سيبالد . فمن ذلك أن ..

واسترسل لوبين يتكلم ويهذى ويطلق هذه الحكايات الملفقة واحدة فى اثر الاخرى . وهوبى بريجز يستمع اليه فى دهشة واستغراب متحينا فرصة يسأل فيها زعيمه عما

يدور في نفسه دون أن يفهم الغرض الذي يرمي اليه لوبين من متابعة هذا الحديث ٠

فلما يأس لوبين من تنبيه هوبي بريجز الى غرضه مد قدمه تحت المائدة في خفة ولكز ساق هوبي ٠ فما كان من هذا الا أن قال :

ـ لماذا تدوس على قدمي يا زعيمي ٠ ؟

فابتسم لوبين وقال :

ـ أهذه قدمك ٠ ؟ معذرة ٠٠ لقد ظننتها قائمة المائدة ٠

وكان في خلال هذا الحديث يختلس النظر الى الرجال الاربعة فرآهم قد بدءوا يتبادلون الحديث في صوت منخفض ، ثم انقلبت همساتهم الى مناقشة حامية ٠

وسمع أحدهم يقول : انى أعرف أنها على الطريق الى ايفول ٠ لقد اختلفت اليها أكثر من مرة ٠

فصاح رجل آخر منهم :

ـ تبا لك ٠٠ لقد ولدت في كروكيرن وينبغي أن أعرفها ٠

فصاح الاول : أراهنك على أنك لا تعرف شيئا ٠

فصاح الثاني :

ـ وأنا أراهنك على خمسة جنيهات على أنك مخطىء فيما تقول ٠ !

ـ فلنحتكم اذن الى الخريطة ٠ أمعك خريطة ٠ !

ولكن كان واضحا ان ليس في الرجال الاربعة من يحمل خريطة ٠ وكان الرجل النامي اللحية قد فرغ من حشو غليونه فنهض واقفا وهو يقول :

ـ ربما كانت لدى صاحب الفندق خريطة ٠

ـ كلا ٠ فقد سألته في ذلك بالامس ٠

وكانت حكاية المعزة سيبالد قد بلغت خاتمتها وفرغت

جعبة لوبين ٠ فجعل يكدح ذهنه علة يقع على حكاية أخرى يشغل بها هوبي بريجز الذي كان لا يزال متلهفا الى القاء سؤاله القديم ٠

وفي هذه اللحظة تقدم العملاق النامي اللحية الى لوبين وقال :

ـ معذرة يا سيدي ٠٠ أمعك يا ترى خريطة لمنطقة ايفول ٠ ؟

فازاح لوبين صحفة اللحم دون أن يمس شيئا منها ٠٠ كان مكتوبا في القائمة : لحم بالبطاطس ٠ ولكن الطاهي فيما يظهر أتاه بالبطاطس ونسي اللحم ٠ اذ كانت قطعة اللحم المقدمة اليه لا تزيد على مضغة واحدة ٠

وقال لوبين يجيب على السؤال الموجه اليه :

ـ لدى خريطة في السيارة ٠ هل أنت مستعجل ٠ ؟

ـ كلا ٠٠ كلا ٠٠ كل ما هنالك اننا أردنا أن نحسم خلافا ثار بيننا ٠٠٠ أخبير أنت يا ترى بهذه المنطقة ٠ ؟

ـ الى حد ما ٠

ـ أتعرف قلعة شامتي ٠ ؟ اني أقول انها واقعة بين كروكيرن وايفول وصديق يقول انها في الناحية الاخرى على الطريق المفضي الى ايلشستر ٠

ولم يكن لوبين قد سمع من قبل بقلعة شامتي ٠ بل لعله كان يعتقد ان لا وجود لمثل هذا المكان ٠ ولكن مهما يكن من الامر فما شأنه هو حتى يصحح اخطاء الناس ويبدد جهالاتهم ؟

قال لوبين مجيبا في غير تردد :

ـ طبعا ٠٠ اني أعرف هذه القلعة حق المعرفة ٠٠ انه

لها مدخلين : يمكن الوصول اليها من طريق ايلشستر ومن طريق ايغول على السواء . فكلاكما على حق كما تريان .

ونظر اليه الرجل العملاق برهة فى شىء من الذهول ظنا منه ان لوبين يتكلم جادا فلما استوعب مزحته انفجر ضاحكا مع رفاقه .

وعندئذ توثقت عرى المودة بين لوبين وبين الرجال الاربعة فاداروا مقاعـــدهم جميعا وانتظمتهم مائدتان متلاصـــقتان فاستطاع لوبين بدهائه ولباقته أن يبدد جو التحفظ والتكتم الذى كان يسود القاعة .

قال الرجل العملاق يسأل لوبين :

ـ أفى نيتك الاقامة طويلا فى هذا الفندق ؟

فأجابه لوبين فى غير مبالاة :

ـ لا أدرى .. اذ الواقع انى لم اكون لى رأيا بعد .. سأقيم هنا يوما او يومين ولكننى قد أطيل الاقامة اذا وقعت على عمل أسلى به وحدتى .

ـ أتحب صيد السمك ؟

ـ احيانا .

ـ يمكنك ان تقتنص حيتانا صغيرة تحت جسر لاركستون

فأحنى لوبين رأسه وقال :

ـ انها تسلية لذيذة فيما أظن .

وتكلم ذو الشارب الابيض والنظارة البانسيية قائلا :

ـ ولكنها تسلية خطرة الا اذا كنت خبيرا بعملك .. لو زلقت قدمك لترديت فى الماء وابتلعتك الامواج .. ولكن هناك طبعا اشياء أخرى أشد خطرا من صيد الحيتان .

فأمن لوبين على كلامه فى كلمات بطيئة قائلا :

ـ أظن ذلك .

فعاد ذو الشارب الابيض يقول وهو ينظر الى قوطته :

ـ نعم .. هناك اشياء كثيرة شديدة الخطر .

فقال العملاق :

ـ هذا صحيح .. ولاضرب لكم مثلا ، فى امريكا يفزع الناس فزعا شديدا من رجال العصـــابات . ولست أدرى السبب فى هذا الخوف الذى لا مسوغ له فلو أن أحد رجال العصابات حاول أن يقوم بهذا العمل هنا فى انجلترا لانقلب الامر خطرا عليه ولاوقع نفسه فى متاعب لا نجاة منها .

فتكلم رجل آخر قائلا :

ـ اتعتقد يا ماجور انه يمكن ان تقوم لرجال العصابات قائمة فى هذه البلاد .. ؟ لست أدرى فى الواقع ما ســـوف يكون من سلوك رجال البوليس حيالهم . ولكن اذا حاول احد رجال العصابات ان يعترض طريقى لشددت وثاقه والقيته الى الماء من فوق الكوبرى .

وقال ذو الشعر الاشقر وهو يقضم قطعة من الخبز :

ـ وانا أيضا محال ان اصبر على رجال العصابات .

فتكلم ذو الشارب الابيض :

ـ وسينالون ما يستحقون ، انى لا أبغض فى هـــذه الدنيا احدا بقدر ما أبغض أولئك الذين يحشرون أنفســهم فيما لا شأن لهم به .

وكان واضحا أن هوبى بريجز هو المعنى بهذه التلميحات اذ كانت هيئته ولهجته الامريكية خير دليل على أنه من رجال العصابات . ولكن اشد المعجبين به لا يستطيع ان يتصـور أنه جدير بأن يفهم هذه التلميحات .. أن هوبى رجل لا يفهم الا ما يلقى اليه فى جمل واضحة قصيرة كأنه طفل يتعلم الحروف الهجائية .

والواقع أن هوبى بريجز لم يكن قد فهم حتى هـــذه اللحظة ما يرمى اليه الرجال الاربعة بأحاديثهم . ولكن هناك

فكرة تسربت الى تلافيف هذه المنطقة المظلمة المستغلقة التى تنعت بأنها عقله ... ومن هذه الفكرة فهم شيئين : أولا — أن الرجال الاربعة يتكلمون كلاما غير لطيف .. وثانيا — أن فى حركاتهم واشاراتهم ما ينطوى على التهديد والوعيد .

ولكن من الاسراف فى حسن الظن بعقله أن نعتقد أنه فهم الغاية الخفية التى تنطوى وراء هذه التهديدات . ولكنه كان يعرف شيئا واحدا على الاقل هو ان العـادة جرت فى أمريكا اذا ما وجهت اهانة الى شخص ما أن تمتد يده على عجل الى مسدسه ليدرأ بالرصاص الاهانة التى لحقت به .

وامتدت يد هوبى الى جيبه الخلفى فى شىء من التردد فلكز لوبين ساقه وابتسم فى وجهه قائلا موجها الحديث الى الرجال الاربعة :

— انكم فيما أرى متعطشون الى الدماء .

فانبعث الرجل الاصلع واقفا وقال :

— كلا .. كلا .. اننا لسنا متعطشين الى الدماء . كل ما هنالك أننا من رجال الجيش القدماء وانه قد مضت مـدة طويلة لم نطلق فيها الرصاص على أحد . فيسرنا أن نتخذ من رجال العصابات هدفا للتدريب . ولما كنت وأصدقائى نجيد اصابة الهدف فان من المؤكد أن رصاصاتنا لن تطيش . وهذه فيما أرى مسألة تدعو الى التروى والتدبر .

ودخل أحد الخدم فاقترب من الرجال الاربعة وهمس فى اذن أحدهم كلاما فى صوت خافت فنهض واقفا وخرجوا جميعا من الغرفة .

حملق هوبى بريجز الى الباب وهو ينصفق خلف الرجال الاربعة .. كان طيلة الوقت أشبه بشهيد يتعذب .. كان يتمنى أن يتكلم وان ينفس عن صـدره .. كان يريد أن يسأل .. أو على الاقل كان يريد أن يسمع رأى زعيمه .

فما أن خلا اليه حتى انفجر يقول :

— يا زعيمى .. ان هذا المكان لا يعجبنى .. انه يهيج أعصابى !

الفصل الرابع

ضحك لوبين وتفرس برهة فى هوبى بريجز ثم قال :

— لا أستطيع يا هوبى أن أتصور أن لك أعصابا .

فقال هوبى وقد قطب جبينه شأن الطفل اذا اعترضت سبيله مشكلة عويصة :

— أسمعت ما يقوله هؤلاء الرجال ؟ انهم يهددوننـا ويتوعدوننا .

— هذا صحيح .

فتحركت يد هوبى الى جيبه الخلفى وقال :

— ليتهم يروننى وأنا أستعمل مسدسى .

فقد كان المسدس عنده هو حلال المشكلات .

فقال لوبين :

— ان الظروف توحى بأنهم سيرونك وأنت تسـتعمل مسدسك .

وهنا بدرت مشكلة أخرى ألفى هوبى نفسه فى حـيرة أمامها . فقال :

— ولكن ما الذى يدعوهم الى تهديدنا ونحن لم نقـل شيئا ولم نبتدرهم بكلمة واحدة .

فابتسم لوبين وقال :

— أظن أنه ينبغى أن نفهم مما حـدث أننا أنذرنا فى الوقت المناسب وبطريقة تنطوى على المجاملة . والواقع انى لم أر من قبل انذارا يلقى الينا بهذه الطريقـة الدبلوماسية الرائعة .. لا شك أن أصدقائنا هؤلاء مولعون بقراءة القصص

البوليسية .. هل طاب لك السبائخ .. ؟ يخيل الى انهم سمموا الارض اليوم .

واصاب لوبين من طعامه بقدر ما احتملت معدته . ثم اشعل سيجارة وجعل يرقب صاحبه هوبى من خلال سحب الدخان .

دفع لوبين مقعده قليلا الى الخلف وقال فى جذل :

ـ هيا بنا نتمشى قليلا .

فلعق هوبى شفتيه وقال فى لهفة :

ـ انى افضل ان اشرب كأسا من الخمر . فالظمأ يكاد يقتلنى .

فابتسم لوبين قائلا :

ـ فيما بعد .. ان الظمأ لن يقتلك .. لا ولن يقتلك شيء آخر الا أن يكون افراطك فى شرب الويسكى .. انى اريد أن ندرس معالم المنطقة المحيطة بنا .

ولم يكن للرجال الاربعة أى اثر فى ردهة الفندق . وكذلك لم يكن هناك اثر لذلك الاحمق ذى الشعر الاحمر . ورأى لوبين الى طاولة البار جماعة من اهل القرية يحتسون البيرة . ولكنه لم ير مارتن جيفرول فى خدمتهم .

صعد لوبين الى سيارته وهوبى الى جانبه وسار بها الى الجاراج القائم فى الناحية الخلفية من الفندق . ومما يؤسف له ان الجاراج لم يشيد بطريقة تتسع لجميع السيارات العصرية وما لها من طرازات مختلفة يضاف الى هذا انه كان هناك لورى كبير يعترض مدخل الجاراج دون أن يشغل الركن الخلفى منه . فاضطر لوبين أن يقوم بعدة مناورات حتى تسنى له أخيرا أن يدخل الى الجاراج مما دعاه الى أن يدور حول اللورى .

واخذ لوبين بذراع هوبى وهو يقول :

ـ هيا بنا نتريض قليلا عند مصب النهر .

وكان هناك رصيف كبير يمتد فى محاذاة الشاطىء ويشرف السائر فوقه على القرية الصغيرة القائمة على سفح التل .

فمشى لوبين مع صاحبه على هذا الرصيف وهو يدير عينيه فيما حوله ويدرس المواقع المختلفة واتجاهاته والمسافة التى تفصل الفندق عن سجن لاركستون القائم على صخرة مشرفة على البحر .

ورأى لوبين فيما رأى كراكة ملقية مرساها عند مصب النهر فعجب للأمر وأخذ يتساءل عن سبب وقوف هذه الكراكة هل جاءت لترفع من قاع النهر طبقات من الطين يزداد بها عمقه .. ؟ أم جاءت لتقيم جسرا من الطين يمنع طغيان البحر على الارض .. ؟

وجلس لوبين على الشاطىء واشعل سيجارة ومضى يدخن وهو يفكر فى تلك الحوادث العجيبة التى تعاقبت : هناك فتاة لا يبدو عليها انها عصبية المزاج ولا تدل ملامحها على انها من طراز يتخيل ويتوهم . وقد أكدت له انها تسمع فى أثناء الليل أشياء غريبة شاذة . وهناك صاحب الفندق فى عينيه ما يشىء بفزع شديد . وهناك أيضا ذو الشعر الاحمر وهو فيما يظهر متصل بشيء مما يجرى فى الخفاء . وأخيرا هناك الحوالة الاربعة الذين تدل سواعدهم على انهم لم يروا الشمس فى حياتهم . وتدل قمصانهم المشمرة وثيابهم الملوثة بالتراب على ما يناقض هذه السواعد البيضاء .

فما هى الحلقة المفقودة التى تجمع بين هؤلاء الرجال وبين هذه الحوادث كلها .. ؟

خطرت للوبين نظرية يمكن أن تفسر ما يبدو غامضا . ولكن ما لبث ان استبعدها : خطر له ان هؤلاء الرجال

يشتغلون بالتهريب وانهم قد اتخذوا من الفندق مقرا لعصابتهم . غير أنه نحى هذا الرأى حين ذكر ان قرية لاركستون بعيدة عن مناطق التهريب وان عدم مقابلتها للشاطىء الفرنسى لا يجعل منها مركزا صالحا للمهربات .

اما هوبى بريجز فلم تكن لديه اية نظرية تلقى ضوءا على الموقف . لقد حاول ان يفكر فلم يصبه من جراء هذا التفكير الا صداع اليم . فقنع من الحياة بمضغ طرف سيجارته وبوضع يده على مقبض مسدسه ما بين لحظة وأخرى .

وكانت الظلمة قد اشتدت حين رجعا الى الفندق . ورأيا جيفرول فى الردهة فحيا الوبين فى احترام . فذكر لوبين سيارة اللورى التى تعترض مدخل الجاراج وتسد طريق الدخول على كل من يحب ان يودع فيه سيارته . وقال :

ـ ألا ترى انه تحسن تنحية اللورى عن مدخل الجاراج ؟ ان فى نيتى ان أقيم هنا يومين أو ثلاثة .

فقال صاحب الفندق معتذرا :

ـ الواقع ان هذا اللورى ملك لشخص مدين لى . وقد تركه رهنا عندى . وتحريكه مستحيل بكل اسف لان بجهازه عطبا . وثقل وزنه يجعل دفعة متعذرا . ولم أشأ ان اصلحه وانما فكرت فى بيعه . فان وجوده يضايقنى ولا فائدة لى منه .

وصعد لوبين الى مخدعه وهو يعلم انه لن يصيب الليلة من النوم الا حظا ضئيلا . اذ ينبغى ان يظل صاحيا يترقب هذه الاصوات الغريبة التى حدثته عنها جوليا . وما كان لوبين ليحفل بقلة النوم الذى يصيب وقد الف فى ليال سابقة ان يظل مستيقظا يومين كاملين . على أنه ود لو تتيسر له فرصة تفضى اليه جوليا بما فى نفسها وتوقفه على تفصيلات ما سمعت .

وما احتوته غرفته حتى فتح الباب ودخلت جوليا ..

لكل امرأة لحظة تبدو فيها على غاية من الفتنة والجمال . وهذه اللحظة كانت فيما يلوح أجمل لحظات جوليا ترافورد.. كانت واقفة عند الباب مسندة ظهرها اليه وشعرها الاسود الجميل مرسل على كتفيها وعيناها تتالقان بنضرة الصبا والانفعال .

وهوبى بريجز الذى لا يتقى المجاملة ولا يعرف شيئا من قواعد التهذيب ـ لم ير حرجا فى ان يحملق فيها بكل ما تتضمنه الحملقة من معنى .

تكلمت جوليا قائلة :

ـ كان ينبغى ان اقابلك الآن ... ان خطابى اليك سخيف غير مفهوم وخال من التفاصيل الواضحة ... ولكن خبرنى ... هل أنت حقا ارسين لوبين .. ؟

فابتسم لوبين قائلا :

ـ ان رجال البوليس يعرفون ان هذا هو اسمى ... فلا بد اذن ان أكون ارسين لوبين .

وقدم اليها مقعدا وناولها سيجارة وهو يقول :

ـ والآن حدثينى بكل شىء .

فاجابته الفتاة فى يأس :

ـ الحق انى لست أدرى عما اتحدث .. وتلك هى المشكلة الكبرى ومن أجل هذا كتبت اليك .. ان عمى خائف مروع وان كان يأبى ان يعترف بذلك . ولقد توسلت اليه أكثر من مرة أن يصارحنى بالحقيقة فكان يراوغنى ويتملص من مكاشفتى بما فى نفسه ويزعم انى واهمة وانى أتخيل ما لا أصل له من الحقيقة . ولكنى أعرف انى لست واهمة متخيلة لان اذنى لا تخدعنى .

واسترسلت الفتاة فى روايتها . فعرف منها لوبين ان الشعر الاحمر اختلف الى الفندق من قبل أكثر من مرة .

وفى زيارته الثانية جاء وفى رفقته رجلان لا يرتاح اليهما من
يراهما • وفى كل مرة يختلى بجيفرول ، فاذا ما انصرف ترا
عنها بادى الانفعال والخوف • ولقد حاولت (جوليا) ان
تنتزع سر عمها وان تحمله على مكاشفتها بالحقيقة ، ولكنه
لاذ بالصمت وابى ان يعترف بان هناك متاعب تزعجه ، ولكن
عقب الزيارة الثانية من زيارات ذى الشـــعر الاحمـــر طلب
التصريح له بحمل مسدس ، فقد جاءه الكونستابل بالرخصة
فى أحد الايام وهو غائب عن الفندق •

واختتمت الفتاة حديثها بأن وجهت هذا الســـؤال ا
لوبين قائلة :

ـ اتعتقد انهم يتوعدونه ويحاولون ان يبتزوا منه الما
بالتهديد ؟

فأجابها لوبين فى صراحة : الحق انى لا أدرى •

ثم أردف يقول : وما هى حكاية الاصوات التى تسمعينه
اثناء الليل ؟• واية علاقة لها بابتزاز المال منه ؟•

فهزت الفتاة كتفيها وقالت :

ـ لا ادرى تعليلا لما أسمع كما قلت لك فى خطابى
ولكن تاريخ هذا الفندق يرجع الى القرن السادس عشر ، فم
المحتمل أن تكون الاصوات التى اسمعها ناشئة عن قلقـــ
الاخشاب وما يصدر عنها من أصوات بفعل القدم • ولقـــ
سمعت هذه الاصوات فى جوف الليل وأنا ساهرة أطالع وعم
نائم في مخدعه منذ وقت طويل ، وليس في الفندق من يمك
أن يتجول فيه • ولقد ظننت للوهلة الاولى أن لصوصا سطو
علينا فزايلت فراشى وهبطت الى الطابق الارضى فلم اجـــ
احدا •

فرفع لوبين حاجبيه فى دهشة وقال :

ـ أتعتقدين أن فى البيت لصوصا ثم تخاطرين بنفسك
فتخرجين اليهم منفردة ؟•

فابتسمت الفتاة وهزت كتفيها فى غير مبالاة قائلة :

ـ انى لست بالفتاة العصبية • انى أعتقد أن اللصوص
لا يجرؤون على البقاء فى البيت اذا شعروا بأن هناك مـــن
يتعقبهم • ولقد كان هذا قبل حضور ذى الشعر الاحمر !•

ـ والضوضاء التى سمعتها •• اطال أمرها ؟•

ـ كل الوقت الذى لبثته فى هذا الفندق •• ثم أعقب
ذلك دوى وقلقلة •• صوت شبيه بالصوت الذى ينجم عـــن
مرور قطار على مقربة من البناء مما أدى الى اهتزاز الفندق •
والذى ضاعف من استغرابى أن اقرب خط حديدى الينا يبعد
نحو خمسة أميال •

ثم رمته بنظرة استفسار وقالت :

ـ انك لا تؤمن طبعا بالاشباح ؟

فابتسم لوبين وقال مجيبا :

ـ انى لم ار شبحا حتى اليـــوم •• وانى كنت اتمنى ان
اراه •

واشعل لوبين سيجارة جديدة اذ أتى على ســـيجارته
الاولى واخذ يتمشى فى أرجاء الغرفة مفكرا •• سبق أن عرف
نساء يركبهن الوهم لاقل شىء وينطلقن فى تيار التخيلات •
ولكنه لم يعهد من قبل امرأة فريسة للاوهام تخرج وحدها
فى جوف الليل لتواجه لصوصا سطوا على البيت ، فالتـــوهم
والجراة امران متناقضـــان •

وفضلا عن هذا فقد وقع على قرائن تنبىء بأن الفتـــاة
على حق فيما تقول ، والا فكيف يفسر فزع صاحب الفنـــدق
حين سمع هوبى بريجز يتكلم ؟• لقد استغرب فى أول الامر
أن يفزع صوت هوبى الرجل • أما الآن فتجلت له الحقيقة اذ
عرف أن بين صاحب الفندق وذى الشعر الاحمر علاقة وثيقة ،
فصاحب الشعر الاحمر ذو سحنة تنم عن الشر ، فما من شك

في ان العلاقة القائمة بينهما انما تستند الى اعمال شريرة
فليس بعجيب اذن أن يدركه الفزع حين يرى هوبي بريج
ويسمع صوته فيتوسم في وجهه رجلا من رجال العصابا
الامريكية الذين يحشرون انفسهم في كل شيء .
ولم تكن لدى لوبين ريبة في ان هناك تهديدا مو
وجه الى جيفرول ، ولكنه استبعد أن يكون مثار التهديد ال
في ابتزاز المال ، اذ ما الذي يرجى من ابتزاز المال من صا
فندق حقير يقع في قلب الارياف ؟
وتحول لوبين فجأة الى الفتاة وقال :
ـ ومن هم الفرسان الاربعة ؟
ـ الفرسان الاربعة !! وبدت امارات الاستغراب
قسمات وجهها . ثم تجلى لها ما يرمي اليه فقالت :
ـ اتقصد الرجال الاربعة الذين كانوا في قاعة الطع
عند حضوري الى هذا الفندق وجدتهم نازلين فيه من قبل
ويلوح لي أن عمي على علاقة ودية معهم . وفي كل مس
يخرجون الى الصيد ولا يعودون الا في موعد العشاء .
واسترسلت الفتاة في حديثها فعلم منها ان ال
البدين المكتنز الوجه يدعى الماجور بورتمور . اما الع
الاسود الشعر فيدعى مستر كين . اما صاحب الشـ
الابيض والنظارة البانسيية فضابط في الجيش يسـ
الكابتن فوس . على حين ان ذلك الرجل الضئيل الجسـ
الذي لا يتكلم الا وهو يدير عينيه في اظافره أو في
المائدة فيسمى فيمز .
وقالت الفتاة :
ـ اني لم أر منهم الا كل رقة ومجاملة .
فقال لوبين :
ـ وهذا ما كنت اتوقع .. ان لهم في بعض الاحـ

تلميحات تنطوي على التهديد ولكني اعتقد انهم فيما عدا
ذلك مطبوعون على الرقة والوداعة .. ولكن ما الذي حدث
لذي الشعر الاحمر ؟
فأجابته جوليا بأنها لا تعرف ما انتهى اليه مصيره .
وكل ما عرفت من أمره ان جيفرول حمله الى مكتبه الخاص
ليتولى العناية به وتنبيهه من غيبوبته وعهد اليها بمراقبة
البار . ثم انباها بعد ذلك انه استفاق من اغمائه وانصرف .
وابتسم لوبين وقال :
ـ اني اعتقد انهم الآن يتداولون في امرنا . ولست
اشك في أنهم قد اعتقدوا اننا من أعوان ذي الشعر الاحمر .
فما عساهم يقولون الآن يا ترى حين يعلمون اني لكمته على
فكه ؟ ربما ظن عمك ان الشجار الذي نشب بيني وبين ذي
الشعر الاحمر ليس الا خدعة قصدت بها الى التعمية والتضليل
حتى لا تنكشف العلاقة التي بيننا .
فقالت الفتاة :
ـ لست ادري راي عمي في الامر . ولكني لن اتردد في
الافضاء اليك بما اعلم اذا ما انتهى الي شيء جديد .. اذن
فقد تحدثت مع الماجور بورتمور ؟ بأي شيء حدثك ؟
فأجابها لوبين في شيء من التهكم :
ـ أبدى في حديثه معي منتهى اللطف والمجاملة ..
لقد صارحونا القول بأنهم يكرهون رجال العصابات ولم
يكتموا عنا ما ينتوون اذا حاول أحد الفضوليين ان يحشر
نفسه في شئونهم . ولقد القوا الينا هذه التهديدات في
اسلوب ظريف قوي مؤثر . ولو اني كنت جبانا لفاض الرعب
بقلبي . ومهما يكن من الامر فاني اشاطرك رايك في انهم
ليسوا أشرارا . وفي هذا ما يضاعف من تعقيد المسألة . فاذا
كانوا ابرياء هربن فلم لا يستعينون برجال البوليس
ويستعدونهم على ذي الشعر الاحمر وعلى أنا ؟

ولبث لوبين برهة يفكر في هذا اللغز .. المفروض ان
يسارع البرىء الى الاستعانة بالبوليس .. فكيف مع براءتهم
الجلية يحجمون عن هذه الاستعانة .؟
وأخيرا هز كتفيه وقال :
ـ ومهما يكن من الامر فسوف أجلو اللغز في الوقت
المناسب .. وسأحذو حذو الفرسان الاربعة فأنام طيلة النهار
واصحو في الليل .. وسيكون لليل آذان وعيون .
وانبعث لوبين واقفا وارسل بصره الى الفتاة في تحديقة
طويلة .. انها حقا رائعة الجمال ولها فتنة لا يمكن أن تنكر .
وتكلمت الفتاة فجأة :
ـ ليت شعرى ما الذى يدعوك الى ان تجشم نفسك هذه
المشقة ؟
فابتسم لوبين وقال :
ـ مشقة .؟ لقد خلقت لاعمل ولانال جزاء عما أعمل
فاذا كان هذا السر منطويا على ربح جزيل فلا مناص من ان
اصيب حصتي .. وسأظل على اتصال دائم بك لأنبئك
بخطواتي أولا فاول ..
وبعد سكتة قصيرة استرسل يقول :
ـ لست ادرى في الواقع الدور الذى سأؤديه في هذه
الرواية . ولكنى أشير عليك بان تتحاشى مقابلتى خشية ان
توقعى نفسك في الشبهات .
ودار ببصره في الغرفة وقال :
ـ اذا أردت ان اتصل بك وضعت لك رقعة تحت طرف
هذه السجادة ولك ان تفعلى مثل اذا أردت مخاطبتى .
ثم ضحك وأردف يقول :
امام التهديدات ولا تنكص الا اذا أصبنا ما تستحق
فليطمئن بالك .. انني
ـ اطمئني يا عزيزتي .. اني وهوبي رجلان لا نتراجع

بالك .. انني
امسك لوبين عن الاسترسال في حديثه وقد اصاخ
السمع .
شعر وهو يتكلم باهتزاز ضعيف لا يكاد يلحظ ..
اهتزاز شمل الارض والجدران .
اخذت الهزة تتزايد وتشتد تدريجيا .. وبدات النوافذ
ترسل صوتا مسموعا .. وتقلقل اناء الماء الموضوع على
المنضدة ..
انصت لوبين الى هذا الصوت العجيب وهو يسال
نفسه عن حقيقته ومصدره ..
وفجأة تجلت له الحقيقة : انه قلقلة مركبة صادرة من
باطن الارض !

الفصل الخامس

امتقع وجه جوليا ترافورد فجأة وغاض الدم من وجنتيها
وعضت على شفتيها وقد احتبست أنفاسها .
ثم همست في صوت متهدج وقد اتسعت حدقتاها :
ـ هذه هي الضوضاء التى اعتدت أن اسمعها .. لقد
سمعتها أنت بنفسك .. اليس كذلك .؟
وكان ضوء المصباح يستقر على وجهه فيكشف من
قسماته صلابة وعينين قاسيتين .
لبث لوبين جامدا في مكانه برهة وقد نحى سيجارته
عن فمه وهناك خيط من الدخان يرتفع منها .. والقى المصباح
ظله على الجدار فبدأ في وقفته رهيبا كأنه شبح من الاشباح .
ثم قال : ـ كم يبعد الخط الحديدى . ؟
ـ نحو خمسة أميال .. وكوليفورد هي اقرب محطة
اليها .
ومرت سكتة قصيرة ثم قال :
ـ عودى الى غرفتك ياغادتى الحسناء . ونامى ما طاب

لك النوم .. ومهما يكن من امـــر السر فثقي بأني سأجلو
وارفع الستر عنه واظفر منه بمال احشو به جيوبي .

سار لوبين في المشي في خطوات خفيفة لا يسمع لها
وقع . ولم يغفل عن أن يزود نفسه بمصـــباحه الكهربائي
الصغير الحجم لم يكن الفندق مجهزا بالتيـــار الكهربائي .
وقد آثر صاحبه الاكتفاء بالمصابيح والشمعدانات . فـــكان
المشي في هذه اللحظة مضاء بمصباح صغير يتوسط السقف
ويرسل ضوءا خافتا لا يكاد يبدد الظلمات .

واذا بلغ الطابق الارضي الفاه مظلما . فالتجـــأ الى
مصباحه الكهربائي وارسل منه خيطا رفيعا من النور استطاع
على هداه ان يتبين مواقع اقدامه . فدخل الى جميع الغرف
التي رآها من قبل : البهو .. وقاعة الطعام .. والردهة .
الى آخره . ثم دخل غرفا اخرى لم يطأ عتبتها اثناء النهـــار
ولكنه لم يجد فيها ما يتوقع . فانتقل الى المطبخ الواقع خلف
قاعة الطعام . ورأى في صدر المطبـــخ بابا يفضي الى ممشى
طويل مرصوف بالحجارة يمتد على طول البناء . ولم يدع بابا
في هذا المشي الا فتحه في حرص وحذر فلم ير على جانبيه
الا مخازن المؤونة والخمور اما الباب الاخير فيؤدى الى فناء
خلفي يقع وراء الجاراج .

وحين هم لوبين بالعـــودة سمع للمرة الثـــانية قلقلة
الصحارى تحت قدميه .

كانت الضوضاء أوضح بكثير مما بدت في أذنيه وهو
في مخدعه . ولكنها مع ذلك كانت مـــن الخفوت والضآلة
بحيث لا تثير فضول النزيل السليم النية . فلو انه سمعها
لتجاوز عن الامر ولوقع في روعه انها قلقلة سيارة من سيارات
اللوري تسير على الطريق العام . كما ان الصوت لضـــعفه
ما كان ليوقظ النائمين من غفوتهم .

ولكن لوبين لم يكن نائما ... ولم يكن بالنزيل السليم
النية ..!

فتح لوبين بابا آخر في المشي فالفى نفسه في ردهة
صغيرة يتصدرها باب ثبتت الى جانبه لوحة تحمل هـــذه
الكلمة :

« خاص »

« ممنوع الدخول »

ولوبين رجل لا يطيب له الدخـــول الا حيث يمنـــع
الدخول . ولا يسره شيء بقدر ما يسره ان يحشر نفسه في
كل ما هو خاص .

كان يعلم ان هذه الغرفة هي مكتب جيفرول وحـــرمه
المقدس . فصح عزمه على ان يتسلل اليها ويلقى عليها نظرة
خاطفة . ولكنه قبل ان ينفذ ما في عزمه رأى في الناحيـــة
الاخرى من الردهة ستارا احمر اللون فأزاحه . فالفى نفسه
في بهو البار ولكن خلف الطاولة .

وثب لوبين على حافة الطاولة وصب لنفسه قدحا من
البيرة واشعل ســيجارة ومضى يشرب ويدخن وهو مرهف
سمعه .

وبعد ثلث ساعة سمع الضوضاء تتردد مرة اخرى .
كانت الضوضاء في اول امرها بعيدة .. ثم اخـــذت
تقترب حتى صارت تحت قدميه .

جرى لوبين باصابعه في خلال شعره ..

تباعدت الضوضاء وسكنت ثم عادت تبدو واضحة من
جديد . وهكذا اخذت تتناوب بين الظهور والاختفاء .

فرغ لوبين من احتساء كأسه فغسله في الحوض الواقع
تحت طاولة البار وجففه ورده الى مكانه ثم تناول مشـــعله
الكهربائي وتهيأ للعمل .

نعم .. فكان ينبغى ان يعمل .. لقد تحقق من انجول
ترافورد لم تكن واهمة فى مزاعمها .. ما هى الضـــوضـ
العجيبة قد ترددت في ســـمعه أكثر مرة . فلم يبق الا
الا أن يلتمس لها تعليلا .

سار لوبين الى مكتب جيفرول ووقف عنده برهة يرهف
السمع . فلما لم يسمع صوتا أخرج الطفاشة التى يفتح بها
الاقفال ودسها فى الثقب وأدارها . وبعد محاولة قليلة ادرك
ان فى الثقب شيئا يحول دون دوران الطفاشة .

وما لبث ان اكتشف ان هذا الشىء انما هو مفتـاح
الغرفة .. لقد كان مركبا فى الثقب من الداخل .

رد لوبين الطفاشة الى جيبه وأخرج مقراضا صغيرا دس
فى الثقب وباسنان المقراض اطبق على طرف المفتاح وأداره

وعندما أرسل المفتاح صريرا خفيفا تناهت الى سمعه من
داخل الغرفة آهة مكتومة فأدهشـــه الامر لحظة خاطفة ثم
تجلى له الوضع الحقيقى للمسألة .

فتح لوبين الباب ودخل وقد أرسل من مشعله الكهربائى
خيطا دقيقا من النور .

واذ سقط الضوء على وجه ذى الشعر الاحمر لم يفزع
لوبين ولم يجفل اذ كان هذا هو ما يتوقع ..!

الفصل السادس

أدار لوبين ضوء المصباح فى ارجاء الغرفة على عجل .
لم يكن للغرفة منفذ آخر غير الباب الذى دخل منه
وكانت فى صدرها خزانة كبيرة مشيدة داخل الجدار . وعلى
مقربة من الخزانة مكتب فوقه آلة كاتبة . والى جانبه مقعد
كبير . وفى ركن من الغرفة دولاب للأوراق ورف انتظمت
صفوف من الكتب .

كان كل شىء يدل على أنه فى مكتب مدير فندق يتمـ

بالطهارة ولا يوحى الى النفس شيئا من الشك . ولكن هذه
الطهارة الظاهرية ما كانت لتخدع لوبين . فلقد استفاض من
القرائن ما يقطع بأن هناك سرا خفيا ينطوى فى المكان .

وتحول لوبين الى ذى الشعر الاحمر وتمتم فى شىء من
الجذل :

ـ افعلت هذا بنفسك على سبيل التسلية ..؟

ولم يحر ذو الشعر الاحمر جوابا لسبب واضح وهو
ان فمه كان مكمما فلا يملك الكلام .

وما من شك فى أن ذا الشـــعر الاحمر كان يتمنى فى
هذه اللحظة أن ينقض على لوبين فيسدد الى وجهه الضاحك
لكمة عنيفة تهز معالمه . ولكنه كان عاجزا عن الحركة اذ كان
مشدود وثاق اليدين والساقين بسـلك متين من الصـــلب
فاستحال عليه أن يحيى صـــديقه القديم على الطريقـة التى
يتمناها .

ولكن فى لوبين نزعة الى السخاء فى بعض الاحيان .
فما كان منه الا أن اقترب من غريمه وأزاح الكمامة قليلا عن
فمه بحيث يستطيع حين يشاء أن يردها الى مكانها فى أقصر
وقت ممكن اذا خطر للرجل ان يسىء اســتعمال الحرية التى
منحها .

تكلم ذو الشعر الاحمر قائلا :

ـ والآن ماذا تنوى أن تفعل بى ..؟

فابتسم لوبين ابتسامة خفيفة وقال :

ـ وما عساك أنت ان تفعل برجل أساء اليـــك وقذف
بقدح البيرة فى وجهك ..؟

لعق الرجل شفتيه وقال :

ـ لم يكن فى نيتى أن افعل ذلك .. استولى على الغضب
فلم أعد ادرى ما أصنع .. لم اكن اعلم ..

فابتدره لوبين مقاطعا :

ـ ما الذى كنت لا تعلمه ؟.
ـ لم أكن اعلم انك .. انك واحد منهم ..! يجب ان
تخلى سبيلى .. انك لن تلحق بى شرا .. ان فى هذه البلاد
قانونا .
فكر لوبين فى الامر سريعا وانتهى الى الخطة التى ينبغى
ان يتبع فقال :
ـ اخلى سبيلك .. ؟ الا ترى يا عزيزى انك شديد
التفاؤل !
فقال ذو الشعر الاحمر فى انفعال :
ـ فى وسعى أن ارضيك وان املأ جيوبك بالمال .
ولم يكن فى لهجته فى هذه اللحظة شىء من الجــراءة
والتحدى وانما كان ذليلا متوسلا مستكينا .
قال فى ضراعة :
ـ سأعطيك ما شئت .. الف جنيه .. بل الفين .
ـ استمر .
ـ خمسة آلاف .
فهز لوبين كتفيه فى استخفاف فقال الرجل فى صوت
متهدج :
ـ بل سأنقدك عشرة آلاف .. عشرة آلاف جنيه اذا
انت اطلقت سبيلى .
تثاءب لوبين وقال :
ـ بدأ الامر يلذ لى .. ولكن دعنى اسألك : انى جيبك
كل هذا المال ..؟
فقال الرجل فى صوت منخفض :
ـ استطيع أن آتيك به .
فتنهد لوبين وهز رأسه نفيا قائلا :
ـ يؤسفنى يا اخ انى لا أتعامل الا نقدا .

ـ سآتيك بالمبلغ فى الصباح الباكر .. بل قبل ذلك
اذا شئت .
فقال لوبين يستحثه على الافضاء بسره :
ـ ومن اين تأتى به ؟ أفى نيتك أن تطوف المدينــة
مستجديا ..؟ أم تنوى أن تسطو على احد المصارف ؟
ـ انى اعرف من اين آتى به . يجب أن اقابل رجلا ..
الليلة !
ـ واين مكان اللقاء ؟
حملق ذو الشعر الاحمر فى لوبين وقد ارتد فجأة الى
الصمت وعيناه تضيقان . ولكن لوبين أصر على طلب الجواب .
تكلم لوبين فى تؤدة قائلا :
ـ دعنى اذهب الى مقابلة هذا الرجل . فان تنقــدنى
عشرة آلاف جنيه عدت اليك وانقذتك .
ـ ومن اين لى أن أعلم انك ستبر بوعدك ؟
فقال لوبين معترفا :
ـ لا سبيل لك الى التأكد طبعــــا . ولكن ينبغى أن
تختار أهون الشرين . فانى لن انقذك الا اذا قابلت هــذا
الرجل وملأت جيوبى بالرزمة التى ســيقدمها الى . فمن
الخير أن تمهد الى لى السبيل الى لقائه حتى ولو لم تكن
من عودتى . فانه لأهون عندك أن تحلم طيلة الوقت بأنى
قد اعود وقــد لا أعود بدلا من أن تحلم بالطــريقة التى
سيقتلونك بها .
مرت فترة من السكوت ثم تكلم ذو الشعر الاحمــر
قائلا :
ـ سيكون صديقى فى انتظارى على طريق اكسمنستر ..
على مسافة ثلاثة أميال بالضبط من ســيتون .. انه فى
سبيل انقاذى لن يتردد فى شىء .. فأسرع بالله عليك !
مال لوبين فوق الرجل ورد الكمامة الى فمه وســلط

ضوء مصباحه على وجهه ثم قال في رقة وعطف :
ـ اذا القوك الى الحيتان اثناء غيبتي فثق انه لن يطو
لى بال الا اذا اصطدت جميع الحيتان المنتشرة فى البحـ
وشققت بطونها لابحث عنك ٠

غادر لوبين الغرفة ومضى الى الفنـاء الخلفي عن طر
الباب الذي اكتشفه في الممشى المتصل بالمطبخ ٠ وكان با
الجاراج مفتوحا فاخذ يدفع سيارته ٠ وبعد مناورات كثي
ولف ودوران ٠٠ اسـتطاع ان يدور حول الـ
اللوري التي تسد المدخل ٠

لم يشا لوبين أن يدير محرك السيارة حتى لا يتعا
دويها فينتهي الى اذان من فى الفندق اذ كان عاقدا العزم ع
ان يبرح الفندق ويعود دون أن يشعر به أحد ٠ فلما أخر
السيارة من الجاراج دفعها حتى راى الطريق الجانبي اللذ
كان ينحدر قليلا صوب الطريق العام ٠ فهون عليه ذلـ
انزلاقها دون أن يتكبد عناء كثيرا ٠

ولما انتهت السيارة الى الطريق العام صعد اليهـا واد
المحرك واطلقها باقصى سرعتها صوب سيتون ٠

ولما اشرف على مكان اللقاء ذكر انه نسى أن يخطرهو
بريجز بالموعد الذي مضى اليه ٠

كان لوبين طيلة الطريق مبتهجا يفكر فى مؤازرة الاقد
له ٠ فقد حمل اليه البريد خطابا لا يتضمن الا سطورا قليل
عن ضوضاء تسمع فى أثناء الليل ٠ وفى ذهابه الى الفنـ
ساقت اليه الصدف ذا الشعر الاحمر فدفعه بسيارته الى حف
فانعقدت بينهما صلات مشوبة بسوء الظن والكراهية ٠ وعـ
ما لكم ذا الشعر الاحمر فى الفندق ورده الى الغيبوبة راى ف
عينى جيفرول اهتماما يخالطه ابتهاج واضح فادرك ان صاح
الفندق يكره الرجل وانه حين حمله الى مكتبه بحجة العنا

به انما كان يرمى الى اقتنام الفرصة ليظفر بخصمه ويتفسد
وثاقه ٠ وقد أصاب لوبين فيما ذهب اليه اذ الفى ذا الشعر
الاحمر مكمما مقيدا حين تسلل الى مكتب جيفرول ٠ ولعل هذه
الفكرة التى طرات على جيفرول هى التى دفعته الى استدعاء
الفرسان الاربعة حين كانوا جلوسا في قاعة الطعام ٠

كان الامر فى نظر لوبين واضحا لا يحتاج الى كدح الذهن
ولكن الشيء الوحيد الذى استعصى عليه فهمه هو أن يجد
مجنونا فى هذا العالم يرضى بان يدفع عشرة آلاف جنيه لينقذ
احمق من طراز ذى الشعر الاحمر ٠٠!

وبعد أن تروى لوبين فى الامر طويلا انتهى الى تفسير
واحد لا ثانى له : لقد اغراه بهذا المبلغ الضخم حتى اذا اتصل
بشريكه الذى يزعم بانه سينقذه المال عرف الشريك من ذلك
حقيقة ما أصاب صاحبه ٠٠ وما من شك فى أن ذا الشـعر
الاحمر انما كان يعتمد على نجدة شريكه أضعاف ما يعتمد على
نجدة لوبين ٠

نظر لوبين الى جهاز قياس المسافة المثبت الى جانب عجلة
القيادة فرأى انه ابتعد عن سيتون بما يكاد يكتمل ثلاثة اميال
وحين رأى على ضوئه الكشاف سـيارة منزوية فى ركن من
الطريق أدرك أنها هى سيارة شريك ذى الشعر الاحمر ٠

اطفأ لوبين ضوء سيارته ثم اوقفها على مقربة من السيارة
المقفلة فبرز منها رجل أقبل عليه يقول :

ـ أهذا أنت يا جارثويت ٠ ؟

فادرك لوبين ان هذا هو الاسم الذى يعرف به ذو الشعر
الاحمر واستجمع كل براعته فى تقليد الاصوات وقال مجيبـا
بصوت شبيه بصوت جارثويت :

ـ نعم ٠

وفجأة غمر وجهه ضوء قوى منبعث من مشعل فى يد
الشريك ٠ وسمعه يشهق ٠ فقال لوبين على عجل :

ـ او على الاقل جارثويت هو الذى اوفدنى ٠
فقال الآخر فى صوت هادىء :
ـ انك ارسين لوبين ٠٠ ؟ أليس كذلك ٠٠٠ ؟ انى أعرف
حق المعرفة ٠
ذهل لوبين اذ لم يكن يتصور ان هناك من يعرفه
هذه المنطقة فارتسمت على شفته ابتسامة خفيفة وقال :
ـ انك قوى الذاكرة فيما يلوح ٠
ـ فقال الآخر فى صوت جاف كانما لم ترقه النكتة :
ـ من فضلك دع يديك فوق عجلة القيادة ليتسنى لى
اراهما ان مسدسى مصوب اليك فاحذر يا صديقى ٠ ففى وسعى
ان أرديك قتيلا قبل ان تمتد يدك الى جيبك ٠
كان صوت الرجل رنانا حاد النبرات حتى لــكأنه
حديثه يخاطب جمعا متراصا امامه لا رجلا واحدا على قيـ
خطوة منه ٠
وتكلم ارسين لوبين فى لهجة ودية قائلا :
يمكنك ان تطلق على النار بلا تردد ٠٠٠ فانى مؤمن
على حياتى وحسبى من دنياى أن يصيب ورثتى مبلغا كبيرا من
المال وبهذه المناسبة أتمنى ان يكون صديقنا جارثويت مؤمنا
على حياته ايضا ٠ فان هناك رأيا يشير بالقائه طعاما للحيتان
ولكنه انبأنى انك لن تتردد فى أن تنقدنى عشرة آلاف جنيه
لانقذه ٠ فرأيت ان احضر الى مقابلتك فانه جزاء لا يستهان
به ، فضلا عن انى كنت شديد التلهف الى معرفة البواعث التى
تجعلك ترضى بان تدفع عشرة آلاف جنيه فى سبيل هذا الرجل
الاحمق ٠٠ نعم ان الحب أعمى كما يقولون ولكنى ٠٠٠
فابتدره الرجل بقوله :
ـ أين جارثويت ٠ ؟
ـ عندما رأيته لآخر مرة كان مكمما مشدود الوثاق وهو
يفكر فى الحياة الاخرى وهل يكون مصيره الفردوس أم الجحيم

ـ وأين كان ذلك ٠ ؟
ـ فى المنزل القديم ٠
ـ الفندق ٠ ؟
ـ كلا بالطبع ٠٠ فان من الحماقة أن نبقيه فى الفندق ٠٠
الا تعرف المنزل القديم ٠ ؟
ولم يجب حامل المشعل الكهربائى على هذا السؤال
وانما قال :
ـ وهل قال لك انى سادفع اليك عشرة آلاف جنيه
لتخل سبيله ؟
ـ نعم ٠ بهذا حدثنى ٠٠ ولم اشأ بطبيعة الحال ان اخيب
رجاءه وان كنت اعتقد انه شديد التفاؤل ٠ ولكن ما دامت
لحياته أهمية فى الحصول على الثروة المنتظرة ٠٠٠
فقال الآخر مقاطعا فى صوت حاد :
ـ وكيف عرفت هذا ؟
فابتسم لوبين واجاب :
ـ جارثويت هو الذى انبأنى ٠
ـ وهل أنبأك ايضا بصفقة الليلة الماضية ؟
ـ نعم أنبأنى بذلك أيضا ٠
ألقى لوبين بهذا الجواب فى هدوء ورغبة منه فى استدراج
الرجل الى الحديث حين يعرف أن لوبين على علم بتفاصيل السر
الخفى ٠
ولكن ما انفرجت شفتاه على هذا الجواب حتى أدرك أنه
وقع فى غلطة كبيرة ٠ لم يكن غريمه بالغر الساذج وانمـــا
كان بارعا فى ادراك الحيل والخدعات المختلفة فقال فى لهجة
يخالطها التهكم :
ـ هذا شىء لذيذ ! ٠ اذن فقد حدثك جارثويت بصـفقة
الليلة الماضية ٠ ؟ ولكن ما رأيك اذا قلت لك انه لم تكن هناك

صفقة فى الليلة الماضية ، وانى ما قلت ذلك الا لاستدرجك الى الفخ ولاتبين صدقك من كذبك ! ارجوك أن تنزل من السيارة يا مسيو لوبين .. اذا كان جارتويت فى خطر كما تقول فما من شك فى انى استطيع ان أنقذه بمساومة أصدقائك على حياتك .. انك رهينة لا غنى عنها .

لم يغب عن لوبين حرج الورطة التى ألقى نفسه فيها . فكان عليه أن يهتدى الى وسيلة سريعة للنجاة .. عندما أوقف سيارته ترك المحرك دائرا . فلما أمره غريمه بالنزول من السيارة فكر فى الامر سريعا واستقر رأيه على الخطة التى ينبغى أن يتبع .

هز لوبين كتفيه وفتح باب السيارة .

تحرك ضوء المشعل الى مؤخرة السيارة .. كما توقع لوبين تماما .

مال لوبين قليلا كأنما يهم بالنزول من السيارة . وفى حركته هذه انحرف عن دائرة النور .. وفى نفس اللحظة تحركت يده حركة فجائية سريعة واستقرت على فك غريمه اذ انكشف له موضعه حين حرك يده بالمصباح .

وفى نفس اللحظة كان لوبين قد اطلق السيارة دفعة واحدة بيده اليسرى فوثبت فى غمضة عين تنهب الارض نهبا !

وبينما كانت السيارة تبتعد عن مكان اللقاء دوت خلفها ثلاث رصاصات .. وارتسمت على شفتى لوبين ابتسامة الظفر والانتصار والعطف فى أول منحنى مر به وسار متجها الى الفندق .

كان لوبين لا يزال يبتسم حين انتهى الى الطريق الجانبى المفضى الى الجاراج .

حقيقة انه لم ير وجه غريمه . فلو التقى به بعد دقائق معدودات لما عرفه .

ولكن لم تكن هناك ريبة فى ان من المحال ان ينسى ذلك

الصوت الاجوف الرنان .. انه صوت لا ينسى ! فلو سمعه لوبين بعد يوم او شهر او عام لعرف فى صاحبه على الفور غريم تلك الليلة !

واذ بلغ لوبين باب الجاراج هم بأن يقوم بالمناورات المعهودة ليدور حول اللورى الذى يسد المدخل . ولكنه لفرط دهشته لم يجد أثرا لسيارة اللورى !

لقد اختفى اللورى الذى زعم جيفرول انه مضطرب وان اصلاحه يستغرق اسبوعا على الاقل !

الفصل السابع

لم يكن اللورى وحده هو الذى اختفى ، وانما اختفى معه جارتويت أيضا .

اكتشف لوبين ذلك عند ما دخل الى الفندق ومضى الى مكتب جيفرول وفتح الباب .. !

حين أدار مقبض الباب فانفتح فى سهولة دون أن يحتاج الامر الى استعمال المقراض لادارة المفتاح الموضوع فى الثقب من الداخل ذكر لوبين ما غفل عنه وتوقع أن يكون جارتويت قد هرب .

عندما ازال الكمامة عن فم جارتويت وضع على الارض المقراض الذى استعمله فى فتح الباب ، وفى مبادرته الى الخروج نسى ما كان منه . فترك المقراض الى جانب جارتويت . ! فكان طبيعيا ان يغتنم جارتويت الفرصة السانحة .

وقد اغتنمها : تناول جارتويت المقراض وقرض به السلك المعقود حول رسغيه وفر هاربا . !

ولهذا لم يدهش لوبين حين رأى على أرض الغرفة مقراضه والى جانبه بقايا السلك .

وكانت هذه ثانى غلطة ارتكبها لوبين فى ليلة واحدة . تنهد لوبين فى أسف وصعد الى مخدعه فاستلقى على

الفراش واستغرق في النوم .. وحين استيقظ في الصباح
الباكر رأى هوبي لا يزال جالسا في مقعده الكبير مستغرقا في
النوم وهو يشخر في صوت مرتفع .
اقترب لوبين من هوبي وهزه ، فوثب واقفا كالفيل
المذعور ، ثم حملق في زعيمه وخفض مسدسه وقال معتذرا :
ـ آسف يا زعيمي .. يظهر ان النعاس غلبني .
فقال لوبين في عطف :
ـ ان عقلا مفكرا كعقلك يجب أن يصيب شيئا من
الراحة . !
كانت الساعة قد اشرفت على الثامنة وبدا الجو بديعا
والسماء صافية فلما فرغ لوبين من الاستحمام وشرع في ارتداء
ثيابه مضى يتحدث الى هوبي بريجز وينبئه بالحوادث التي مرت
به وما مني به من خيبة في الليلة الماضية ، وكيف انها مع
ذلك خيبة مؤقتة سيعقبها النصر حتما وان الحياة ستكتشف
عن مغامرات جديدة ، وان ...
وأمسك لوبين عن الكلام ، اذ شعر أن جليسه منصرف
عنه ، لا يصغى الى حرف واحد مما يقول ، فنظر الى هوبي
متفرسا وقد استغرب ظاهرة الذهول التي عرته .
واخذ بذراعه وغادرا الفندق واتجها الى الميناء .
وعلى الرمال رأى لوبين بحارا عجوزا جالسا يدخن غليونه
فحياه وجلس الى جواره وأخذ يبادله الحديث عله يستطيع أن
يجمع بعض المعلومات التي لا تزال تنقصه لاجلاء
ما غمض من سر هذا اللغز المستغلق .
وأشار لوبين الى الكراكة الراسية في الميناء وقال :
ـ وما شأن هذه الكراكة . ؟
فأجاب البحار قائلا :
ـ لقد رست هنا منذ ثلاثة شهور لترد غائلة البحر عن
القرية .

ـ أتريد أن تقول أن ماء البحر يطغى على الارض في هذه
الناحية ؟
ـ نعم .. ان الارض تتآكل تدريجيا سنة بعد سنة
بفعل الامواج . فجاءت هذه الكراكة لتردم الجزء القريب من
الشاطيء حتى يصمد امام المياه .
فقال لوبين متسائلا :
ـ ومن اين تأتون بالطين الذي يردم به القاع . ؟
ـ لقد تعهد بعض المقاولين بالمجيء به من التلال القريبة
ـ وهل مستر جيفرول صاحب الفندق بين هؤلاء
المتعهدين ؟
ـ نعم .
وكان هذا هو الجواب الذي يتوقعه لوبين . ولكنه قال
مسترسلا :
ـ وهل اعتاد جيفرول أن يرسل الطين الى الكراكة في
سيارة من سيارات اللوري في الصباح . ؟
ـ نعم ... من عادته أن يرسل سيارته محملة بالطين
بعد منتصف الليل .
واكتفى لوبين بذلك فنهض واقفا واخذ يتمشى على الشاطيء
وفي رفقته هوبي بريجز . ثم انعطف الى ناحية الفندق ولكنه
لم يدخل اليه وانما دار حوله حتى اذا انتهى الى الجاراج رأى
سيارة اللوري في مكانها المعهود لم تتزحزح باردة واحدة حتى
ليخيل لمن يراها في مكانها هذا انها لا زالت على عهدها لم تبرح
الجاراج مطلقا .
واقترب منها لوبين ولمس المحرك فرآه لا يزال ساخنا .
مضى لوبين الى مؤخرة اللوري ففحصه فرأى في داخله
آثارا تدل على أنه كان مشحونا بالتراب الاحمر . والتراب
الاحمر هو اللون المعروف عن هذه المنطقة . فمد يده وتناول

بعض ما يعلق بأرضية السيارة من التراب فالفاه نديا رطبا كأنه مبتل بالماء .

وهز لوبين رأسه وقال في نفسه :

ـ بديع جدا . !

ثم حشر نفسه بين مؤخرة السيارة وبين الجدار فرأى على الارض أيضا آثار التراب الاحمر كما كانت هذه الآثار تلوث الجدار المواجه لمؤخرة السيارة ـ ذلك الجدار المغطى بالخشب . فتناول لوبين مبراته وأعملها قليلا في الخشب ثم خرج من الجاراج وهو يصفر صفيرا خفيفا .

كانت عيناه تلتمعان وفي وجهه دلائل الاهتمام . لقد بدأت الحلقات المفقودة تتناقص تدريجيا .

لم يذهب لوبين الى الفندق وانما اخذ يتجول في الفناء المتصل بالخارج فرأى في سياجه فجوة خرج منها الى الارض الفضاء الواقعة خلفه . واخذ يرتقي التل حتى انتهى الى مجمع التيار الكهربائي العام الذي يمد الطرق والمصانع بالنور والكهرباء .

دار لوبين حول هذا المجمع واخذ يفحصه فحصا دقيقا حتى اكتشف ما كان يسعى اليه ... وجد سلكا ضخما يمتد من المجمع تحت الارض بضعة أمتار ثم يبرز الى سطح الارض لتخفيه عن العيون الاعشاب والحشائش النامية فوقه ... تتبع لوبين السلك فرآه يتجه الى ناحية الجاراج . فظل في أثره حتى تحقق (كما كان يتوقع) من انه قد امتد في حفرة الى ما تحت جدار الجاراج .

ومن عجب أن يكون هذا السلك وسيلة الى سرقة التيار الكهربائي من المجمع العام وان يكون ممتدا الى الفندق ومع ذلك يظل الفندق مضاء بالشموع وحدها ! .

وفي هذه اللحظة عرف لوبين انه كشف من اللغز ما خفي عنه وان السر قد بدا جليا واضحا فلم تبق الا خطوة واحدة

حتى يتجلى كل شيء .

مضى لوبين الى صديقه هوبي الذي كان جالسا في انتظاره عند سفح التل فأخذ بيده وهو يقول :

ـ هيا بنا نرتقي التل معا .

ـ وهل في التل ما تسعى اليه ؟

ـ ان فيه مناظر طبيعية خلابة وانت تعلم اني مولع بجمال الطبيعة . ومع ذلك فلا تتعجل فان المتاعب وشيكة بأن تنقض عاجلا .

حين بلغا رأس التل وقف لوبين يدير عينيه في مناظر الطبيعة الرائعة ويتحدث الى هوبي بوجيز عما فتنه وان كان في الواقع منصرفا الى دراسة موقع الفندق بالنسبة الى سجن لاركستون القريب . فلما اشبع غايته من هذه الناحية ارتمى على الحشائش وقال مخاطبا هوبي :

ـ اذا استطعت يا هوبي أن تقلع قليلا عن قرض الشعر والتفكير في حسنائك جوليا فانصت الى قليلا فاني أحب ان افضي اليك بكل ما انتهيت اليه حتى هذه اللحظة فقد تقع بعض الحوادث ولا يكون هناك مفر من الاستعانة بك .

ومرت ساعة كاملة ولوبين مسترسل في حديثه .. اختار لسرد الحوادث طريقة بسيطة يمكن أن يعيها هوبي بعقله الضيق المحدود .. فشرح له من الوقائع ما كان غامضا وربط الحلقات المفككة بعضها ببعض حتى اطمأن آخر الامر الى أن هوبي قد علم من السر نفس ما يعلمه لوبين .

واخيرا قال هوبي متسائلا وهو يقضم طرف سيجاره :

ـ وماذا ينبغي أن نصنع الآن يا زعيمي ؟

فكان جواب لوبين :

ـ لاشيء اكثر من التريث والانتظار .. قد يقع الحادث المنشود الليلة وقد يقع بعد شهر . ولكن الامر المؤكد اننا ازاء صفقة عظيمة .. فالمسألة لا يمكن أن تدبر بهذا الشكل

الا اذا كان لها من المال سند قوى . فاذا ما تهيأت الاسباب وتم الانفجار كنا على أهبة الاستعداد للاستيلاء على الغنيمة .

وكان لوبين محقا فى استنتاجه . فاذا كانت حياة ذلك الاحمق جارنويت تساوى عشرة آلاف جنيه فما هى اذن قيمة الصفقة التى يزاحم جارنويت صاحب الفندق ورفاقه فى الحصول عليها ؟

وبينما كان لوبين ماضيا فى حديثه تبينت عيناه الحادتان شبحا ابيض اللون متواريا خلف الشجيرات عند راس الغابة . فأخذ بذراع هوبى وسارا معه يتبادلان الحديث دون أن تنم سحنته وايماءاته على انه راى شيئا او فطن الى ان هناك من يرقبه .

فلما اقترب من الشجيرة المنشودة تظاهر بالدهشة حين راى الماجور بورتمور . وكان الضابط المتقاعد منحنيا الى الارض وفى يده بندقية صيد فرفع راسه وقال بعد أن حيى لوبين :

ـ انى مغرم بصيد الارانب .. ان من عادتها ان تختبىء تحت الشجيرات .

فرفع لوبين حاجبيه فى استغراب وقال :

ـ الارانب ؟ كنت اظن أن صيد النمور انسب لك !

فنحى الماجور الغليون عن فمه وقال فى صوت صارم :

ـ النمور .. او الفيران .. ! ان الامر عندى سواء

فتفرس لوبين فى رقة ووداعة فى وجه محدثه الصارم فى الملامح التهديرية وقال :

ـ وأنا أيضا أحب صيد الفيران !

ثم دار على عقبيه وخلف بورتمور وراءه يغلى غضبا وسار الى الجاراج .

وجلس لوبين الى عجلة القيادة وأدار المحرك ولكنه لبث ساكنا لا يدور . فابتسم ابتسامة خفيفة وقد ادرك ان الفرسان

الاربعة احدثوا بسيارته عطبا ليحولوا دونه ومغادرة الفندق .

هز لوبين كتفيه فى غير احتفال وسار الى الفندق فراى الكابتن فوس جالسا على مقعد عند الباب وبين يديه صحيفة منشورة . فلما القى اليه لوبين بالتحية فى جذل وانشراح اجابه فى اقتضاب وغيظ مكتوم .

دخل لوبين الى البهو وتهالك على الاريكة وجعل يفكر فى تلك الظاهرة الجديدة التى لمسها فى ذلك اليوم : لم يكن هناك شك فى أن الفرسان الاربعة ناقمون عليه لسبب من الاسباب وانهم ارادوا ان يثبتوا له بطريقة عملية أنهم قد فطنوا الى فضوله فبسطوا عليه الرقابة . ولعلهم رموا بذلك الى حثه على مغادرة الفندق . وكان يعلم انه ان عجل بالرحيل اراح نفسه من المتاعب المنتظرة .

لكن لوبين لم يكن بالرجل الذى يخشى المتاعب .

وانتبه من خواطره على دوى سيارة تقف بباب الفندق .

وفجأة سمع من الخارج صوتا يقول :

ـ أسعدت صباحا يا فوس .. هل جيفرول هنا .. ؟

ورفع لوبين حاجبيه حين سمع الصوت . وتحفزت كل جوارحه .

كان الصوت اجوف .. رنانا .. حاد النبرات .

انه صوت ذلك الرجل الذى لقيه فى جوف الليل على طريق اكسمنستر .. الرجل الذى قال لجارنويت انه لن يتردد فى أن ينقد لوبين عشرة آلاف جنيه ثمنا لحياة ذلك الاحمق الدميم .. !

الفصل الثامن

وجه صاحب الصوت الرنان الحديث الى فوس دون ان يسبق اسمه باى لقب دلالة على أن العلاقة وثيقة بينهما . ودعم هذا ما كان من فوس اذ أجاب فى لهجة ودية :

الا اذا كان لها من المال سند قوى . فاذا ما تهيأت الاسباب وتم الانفجار كنا على أهبة الاستعداد للاستيلاء على الغنيمة .

وكان لوبين محقا فى استنتاجه . فاذا كانت حياة ذلك الاحمق جارثويت تساوى عشرة آلاف جنيه فما هى اذن قيمة الصفقة التى يزاحم جارثويت صاحب الفندق ورفاقه فى الحصول عليها ؟

وبينما كان لوبين ماضيا فى حديثه تبينت عيناه الحادتان شبحا ابيض اللون متواريا خلف الشجيرات عند راس الغابة . فأخذ بذراع هوبى وسارا معه يتبادلان الحديث دون أن تنم سحنته وايماءاته على انه راى شيئا او فطن الى ان هناك من يرقبه .

فلما اقترب من الشجيرة المنشودة تظاهر بالدهشة حين راى الماجور بورتمور . وكان الضابط المتقاعد منحنيا الى الارض وفى يده بندقية صيد فرفع راسه وقال بعد أن حيى لوبين :

ـ انى مغرم بصيد الارانب .. ان من عادتها ان تختبىء تحت الشجيرات .

فرفع لوبين حاجبيه فى استغراب وقال :

ـ الارانب ؟ كنت اظن أن صيد النمور انسب لك !

فنحى الماجور الغليون عن فمه وقال فى صوت صارم :

ـ النمور .. او الفيران .. ! ان الامر عندى سواء

فتفرس لوبين فى رقة ووداعة فى وجه محدثه الصارم ذى الملامح التهديدية وقال :

ـ وأنا ايضا احب صيد الفيران !

ثم دار على عقبيه وخلف بورتمور وراءه يغلى غضبا وسار الى الجاراج .

وجلس لوبين الى عجلة القيادة وأدار المحرك ولكنه لبث ساكنا لا يدور . فابتسم ابتسامة خفيفة وقد ادرك ان الفرسان

الاربعة أحدثوا بسيارته عطبا ليحولوا دونه ومغادرة الفندق .

هز لوبين كتفيه فى غير احتفال وسار الى الفندق فرأى الكابتن فوس جالسا على مقعد عند الباب وبين يديه صحيفة منشورة . فلما القى اليه لوبين بالتحية فى جذل وانشراح اجابه فى اقتضاب وغيظ مكتوم .

دخل لوبين الى البهو وتهالك على الاريكة وجعل يفكر فى تلك الظاهرة الجديدة التى لمسها فى ذلك اليوم : لم يكن هناك شك فى أن الفرسان الاربعة ناقمون عليه لسبب من الاسباب وانهم ارادوا أن يثبتوا له بطريقة عملية أنهم قد فطنوا الى فضوله فبسطوا عليه الرقابة . ولعلهم رموا بذلك الى حثه على مغادرة الفندق . وكان يعلم انه ان عجل بالرحيل اراح نفسه من المتاعب المنتظرة .

لكن لوبين لم يكن بالرجل الذى يخشى المتاعب .

وانتبه من خواطره على دوى سيارة تقف بباب الفندق .

وفجأة سمع من الخارج صوتا يقول :

ـ أسعدت صباحا يا فوس .. هل جيفرول هنا .. ؟

ورفع لوبين حاجبيه حين سمع الصوت . وتحفزت كل جوارحه .

كان الصوت اجوف .. رنانا .. حاد النبرات .

انه صوت ذلك الرجل الذى لقيه فى جوف الليل على طريق اكسمنستر .. الرجل الذى قال جارثويت انه لن يتردد فى أن ينقد لوبين عشرة آلاف جنيه ثمنا لحياة ذلك الاحمق الدميم .. !

الفصل الثامن

وجه صاحب الصوت الرنان الحديث الى فوس دون ان يسبق اسمه باى لقب دلالة على أن العلاقة وثيقة بينهما . ودعم هذا ما كان من فوس اذ أجاب فى لهجة ودية :

- انه في مكتبه .. يؤسفني انى لن أصحبك .
فقال الآخر في اقتضاب :
- لا داعى لذلك .
وسمع لوبين وقع خطوات الرجل وهو يدخل الى البهو فاخرج منديله على عجل وستر به وجهه متظاهرا بانه يتمخط وان كان حريصا على أنه لا يصدر عنه صوت يلفت الانظار الى وجوده .
ودخل الرجل الى البهو واتجه مباشرة الى الممر المفضى الى مكتب جيفرول .. كان رجلا ضئيل الجسم يسير في خطوات ثابتة سريعة وفي حركاته ما يشعر باعتزازه بنفسه . وكان يتأبط محفظة من الطراز الذى يستعمله المحامون عادة .
وجمع لوبين بين المحفظة وبين هذا الصوت الرنان الاجوف فانكشفت له الحقيقة على الفور .. هذا الرجل محام ما في ذلك شك او ريبة .
وهذا المحامي هو الذى عرف لوبين بمجرد أن وقع عليه بصره على طريق اكسمنستر .. لقد قال له اذ ذاك : انى أعرفك حق المعرفة ..!
وحق له طبعا أن يعرفه .. !
وضاقت عينا لوبين وقد بدأت الجوانب الاخيرة الغامضة من السر تنجلى وتنكشف .. هذا الرجل صديق لجارثويت .. وهو في الوقت ذاته صديق لجيفرول والفرسان الاربعة الذين اقتنصوا جارثويت وشدوا وثاقه . فما هي العلاقة التى تجمع بين المحامي وصاحب الفندق وفرسانه من ناحية .. وبين المحامي وجارثويت من ناحية أخرى .. ؟
أو بعبارة أخرى : ما هي الصفقة التى يزاحم فيها جارثويت صاحب الفندق وفرسانه .. ؟ وما هو الدور الذى

يقوم به المحامي في هذه الصفقة .. ؟ انه بلا نزاع دورمزدوج ذو وجهين . فهو يحارب في الميدانين وينحاز الى الجيشين .
عض لوبين على شفته وتمنى لو استطاع ان يسترق السمع الى الحديث الذى يجرى في المكتب في هذه اللحظة . والمسافة الى المكتب لا تزيد على خطوات قليلة . ولكن كيف يقدم على اجتيازها وهو يعلم انه محاط بالرقباء من كل جانب !
تنهد لوبين حسرة وأخرج علبة سجائره ملتمسا العزاء في التدخين فالفاها فارغة . فخرج الى الطريق ليبتاع علبة من السجائر .
وعند الباب رأى سيارة مقفلة عرف فيها على الفور السيارة التى رآها في الانتظار على طريق اكسمنستر . فلم يعد لديه أى شك في شخصية ذى الصوت الاجوف الرنان .
ولكن كيف يقدم المحامي على المجىء الى الفندق بلاخوف او وجل وهو يعتقد أن لوبين من أعوان الفرسان الاربعة ، وانه قد يميز صوته فيتعرف عليه فيفتضح أمره ويعرف جيفرول ورفاقه أن المحامي يقوم بدور مزدوج .. ؟
ولكن ها هو ذا قد جاء الى الفندق في غير تردد ، وقد استقبل استقبالا وديا دون أن يتهدده أى خطر ، فهل ..
وادرك لوبين أن من المحتمل جدا أن تكون اوضاع الامور قد انقلبت وأن الخطر انما يتهدده هو نفسه .
وسمع الى جواره صوتا يقول :
- أذاهب أنت لتتنزه .. ؟ أتسمح لى بأن أرافقك .. ؟
ولم يكن في نية لوبين أن يتنزه ، وانما كان يبغى شراء علبة سجائر من حانوت عند سفح التل . فقال مجيبا
- انى ذاهب لاشترى علبة سجائر .
فما كان من الكابتن فوس الا أن قال في بساطة .
- وأنا أيضا في حاجة الى علبة سجائر .

وخطر لارسين لوبين ان ينقض على ذلك الضابط الفض فيقذف به الى سفح التل .. ولكنه كظم ما بنفسه ولم يـ ما يدعوه الى اثارة عراك لا داعى له .

وسار الرجلان جنبا الى جنب وابتاع كل منهما علبة من السجائر ثم رجعا الى الفندق .

وعند الباب رأى لوبين العملاق كين جالسا على نفس المقعد الذى كان يقتعده فوس وبين يديه نفس الصحيفة منشورة . وكانت سيارة المحامى لا تزال قائمة عند الباب .

وحين اقترب لوبين من الفندق ظهر جيفرول على العتبة وقال يحيى لوبين :

ـ طاب صباحك يا مستر تومز . أتسمح لى بدقيقة واحدة . ؟

فقال لوبين فى لهجة ودية :

ـ بل ما شئت من الدقائق .

ـ تفضل معى الى مكتبى لحظة قصيرة .

سار لوبين خلف جيفرول وقد توترت اعصابه وتنبهت كل جارحة من جوارحه وهو يسائل نفسه عما يمكن أن يتكشف عنه الحديث الذى سيدور بينهما .

ولم يغب عن لوبين أن جيفرول كان ممتقع الوجه مرتعد اليدين وفى نظراته شرود عميق . فأيقن أن الحديث الذى سيجرى بينهما سيكون حديثا خطيرا . وعلى رغم كدحه ذهنه لم يوفق الى معرفة الاتجاه الذى سيأخذه الحديث .

وما كاد لوبين يدخل الى الغرفة حتى رأى بورتمور وفيمز جالسين هناك .. وكذلك لحق بهما فوس .

وتحول جيفرول واستدار الى لوبين فاذا فى يده مسدس مصوب اليه .

قال جيفرول :

ـ ارفع يديك . !

وكان صوته حادا .. مضطربا .. تخالطه لهجة تهديدية ذات طابع لا يصدر الا عن المجانين . فأيقن لوبين ان أى آية محاولة من ناحيته كفيلة بأن تحمل جيفرول على اطلاق النار فى غير تردد . فرفع ذراعيه الى ما فوق رأسه وهو يتفرس فى جيفرول ويسائل نفسه عن السر فى شرود نظراته واهتياج اعصابه .

ودس جيفرول يده فى جيب لوبين وجرده من مسدسه فقال لوبين فى صوت هادىء :

ـ يا الهى . ! عندما اقتربت منى الان ظننت أنك تنوى ان تقتلنى فاذا بك لا تنشد الا مسدسى . !

وتناول الماجور بورتمور بندقية الصيد وأومأ بها الى الجدار وقال فى صوت مبحوح :

ـ التصق بالجدار واطبق فمك .

فسار لوبين الى الجدار واطبق فمه .

وعاد جيفرول الى الحديث فقال :

ـ والآن .. اين جوليا . ؟

تصلب فم لوبين كأنما استحال وجهه قطعة من الصخر اذن فهذا هو تفسير ما رآه من امتقاع وجه جيفرول واضطراب حركاته وشرود نظراته .

وتواثبت الخواطر الى ذهنه : ذكر أن هوبى بريجز كان مستغرقا فى النوم .. وذكر فرار جارثويت . ثم ذكر زيارة المحامى .

ولكن قبل أن ينتهى الى رأى معين ارتفع صوت جيفرول المضطرب وهو يقول :

ـ الا تبا لك . ؟ تكلم واسرع والا قتلتك كالكلب الحقير . ! ساعد الى عشرة . فان لم تجب على سؤالى ..

فقال لوبين دون أن يزايله هدوءه :

– اذا لم اجب فتلتنى . ! فهل يفيدك قتلى شيئا . ؟
ما الذى تجنيه من موتى . ؟

فاحنى بورتمور رأسه :

– هذا صحيح .. الم انبئك يا جيفرول بانك لن تجنى شيئا من قتله .. ؟ فوس . شد وثاقه . فساعرف كيف ارغمه على الكلام .

وان هى الا دقائق قليلة حتى كان لوبين مشدود الوثاق بسلك متين العقد حول ساقيه ويديه .

ونهض بورتمور واقفا وتناول بندقية الصيد الى فوس واقترب من لوبين وقال فى لهجة صارمة :

– أجب على هذا السؤال فورا والا جلدتك لارغمك على الكلام . !

رماه لوبين بنظرة متفرسة ثابتة .

كان الموقف حرجا دقيقا .. جيفرول اشبه فى هذه اللحظة بالمجانين وملامح وجهه تنبىء بانه لن يتردد فى قتل لوبين . أما الفرسان الاربعة فلهم وجوه غاضبة ناقمة فيها من بواعث التهديد ما يملأ القلوب رعبا .

ولكن لوبين لبث هادئا لا يبالى .

ثم تكلم قائلا :

– ولكن الا ترى أن من الخير ان توجه الى هذا السؤال بطريقة ودية بدلا من هذه التهديدات التى لا داعى لها والتى قد تحفزنى الى العناد . ؟

واعقبت قوله هذا سكتة قصيرة اذ لاح لهم انه على حق فيما يقول .

ثم قال بورتمور :

– فليكن .. اذا كان فى نيتك أن تجيب على هذا السؤال . فاجب فورا .

فلم يتردد لوبين فى أن يلقى اليهم بالجواب فورا فقال :

– ليست لدى أية فكرة عن مكان جوليا . ولكنى اعتقد أن جارتوريت لا يجهل مكانها .

فقال جيفرول فى لهجته العصبية :

– هذا لانه أعانك على اختطافها . !

فهز لوبين رأسه وقال :

– انك مخطىء فى هذا .. قلت لكم ان لا شأن لى باختطاف جوليا .. ولكن خبرنى : فى أى وقت تعتقد انها اختفت . ؟

وسرت رعدة فى أوصال صاحب الفندق ونطقت عيناه بالشر وقال فى صوت رهيب :

– انك تعرف ذلك حق المعرفة فلم تسألنى . ؟ لقد اطلقت سراح جارتوريت ، وهو محبوس فى هذه الغرفة ، وما كان اشتباكك معه فى العراك الا ستارا قصدت به التعمية والتضليل . لقد اختطفتماها فى الليلة الماضية ، واخذت سيارتك من الجاراج . !

فقال لوبين مقاطعا :

– انك اكتشفت ذلك طبعا عندما ملأت سيارة اللورى بالتراب المستخرج من نفقكم .

واذا كان لوبين قد توقع أن يكون فى هذه الجملة مايدهش سامعيه فقد اخطأ فى تقديره وفاته الحساب ، اذ لم يبد على وجه أحد من الحاضرين أى أثر للانفعال .

واسترسل جيفرول قائلا :

– لقد وضعتماها فى سيارتك وهربتما بها ، وقد تحدث جارتوريت معى صباح اليوم تليفونيا ...

ولكن فوس لم يدعه يتم جملته وانما قال مزمجرا :

– انك تضيع الوقت سدى .. دعه ينبئنا بمعلوماته

فاذا أبى ان يتكلم عرفنا كيف نرغمه على الكلام ! .
فقال لوبين فى اقتضاب :
الواقع انى أنتحين فرصة للكلام ، انى اعتقد أن الامر لا يزال غامضا فى حاجة الى ايضاحات كثيرة ، ولست احب ان أضيع وقتى ، ولهذا سأكاشفكم بما فى نفسى اذا امسكتم عن حماقتكم خمس دقائق .
فابتدره بورتمور فى صرامة :
ـ عجل اذن وقل ما لديك .. واياك ان ترمينا بالحماقة مرة أخرى .. والا هشمت رأسك . !
فتفرس فيه لوبين برهة ثم قال فى برود :
ـ تهشيم راس رجل موثق القياد هو فى ذاته اكبر دليل على الحماقة أليس كذلك . !
فقال فيمز :
ـ دعه يا بورتمور وشانه ولنستمع لما يقول .
فقال لوبين :
ـ شكرا .
وأسند ظهره الى الجدار ثم قال :
ـ سيكون حديثى قصيرا وجيزا . وابدا اولا بان اصارحكم بانى لا ادعى نومز .. انى لوبين .. ارسين لوبين .. واظنكم قرأتم عنى كثيرا .
وفى هذه المرة استطاع لوبين أن يحدث فى سامعيه تاثيرا بينا ، فقد حملقوا جميعا فى وجهه وقد استولت عليهم الدهشة والذعر .
واردف لوبين يقول :
ـ جئت الى هذا الفندق اذ سمعت ان هناك اشياءغريبة تجرى بين جدرانه .. ولستم تجهلون انى مولع بان احشر نفسى فى كل ما هو غريب .. ويجب ان تصدقونى حين اقول انى لا أعرف جارنويت ولم اقابله فى حياتى الا فى اللحظة التى تعاركنا فيها فى البار ، فلكمته وصرعته .. انى أعرف انى من مجرمى هذه البلاد ولكنى لا أعرفهم جميعا .. وجارنويت احد أولئك الذين لا أعرفهم . وقد سمعت بالامس ضوضاء عجيبة .. فتسللت من غرفتى واخذت اتجول فى اتجاه الفندق حتى انتهيت الى هذا المكتب فرأيت جارنويت مكما موثق القياد .
ـ فما كان منك الا أن أخليت سبيله .
ـ كلا .. انى لم أطلق سراحه .. وان كنت لا انكر انه استطاع الفرار بسبب غلطة ارتكبتها .. ومن هنا جاءت المساعدة وان كانت مساعدة غير متعمدة . لقد فتحت الباب بواسطة مقراض فلما دخلت عليه نسيت المقراض الى جانبه وانصرفت .. فاغتنم الفرصة وقطع وثاقه بواسطة المقراض .. وكان قبل ذلك قد أنبانى بان له شريكا سينتظره على طريق اكسمنستر .. وان هـذا الشريك لن يتردد فى أن ينقدنى عشرة آلاف جنيه لاخلى سبيله ، وقد فهمت من حديثه انه يعتقد انى من رجالكم .. فتركته هنا مقيدا كما كان ومضيت الى مقابلة شريكه .
فقال فوس متسائلا :
ـ واعطاك عشرة آلاف جنيه لتطلق سراح جارنويت !؟
فهز لوبين رأسه قائلا :
ـ لم يعطنى شيئا .. لسبب واحد هو انه عرفنى بمجرد ان وقع بصره على وجهى .
ـ ولكنك كنت تنوى طبعا ان تخلى سبيله اذا ما استوليت على العشرة آلاف جنيه !
فهز لوبين كتفيه قائلا :
ـ لا ادرى .. هذا فرض لم يتحقق فلم نرهق انفسنا بالفروض .. وان كنت اعتقد بصفة عامة انه كان فى وسعى

ان أجد مبررات تحملني على النكث بوعدي • وما ذهبت
الموعد المضروب لاظفر بالمبلغ الموعود وانما لاجمع من المعلو
ما زال ينقصني • ولكن شريك جارتويت عرفني كما قلت
فلم أظفر الا ببضع رصاصات طائشة وفي الظلام لم أر
وجهه ولكنني سمعت صوته •• وهو صوت لا ينسى ••
هذا الصباح سمعت نفس الصوت مرة أخرى • فما رأيكم
قلت لكم أن صاحب هذا الصوت •• أى شريك جارتويت
هو شريككم المحامي الذي حضر الى الفندق منذ قليل • ا
وجم الحاضرون برهة وغشيتهم سكتة قصيرة •
ثم صاح فيمز قائلا :
ـ تبا لك • !
أما بورتمور فقال في خشونة :
ـ انك أكذب مخلوق في هذا العالم • ! لقد صد
يستريج حين قال انك ستسوق الينا قصة ملفقة لتخدعنا
فقال لوبين :
ـ ومن الغريب انه لم ينتظر ليسمع قصتي •• أما
يحسن به لو كان صادقا أن ينتظر ليفند أقوالى ؟
وللمرة الثانية أدرك لوبين أن منطقه حيرهم وادخـ
الريبة على نفوسهم فسكتوا برهة •
وفي خلال هذه أدرك لوبين أن يستريج لم يستهدف
خطر حين حضر الى الفندق •• لقد جاء وفي جعبته سـ
يستطيع أن يستعمل أيهما حسب الظروف والدواعي :
استقبل استقبالا سيئا ورأى أن أصحابه قد ارتابوا في
عرف على الفور أن لوبين شريك للفرسان الاربعة وانه
اليهم بما اكتشف من حقيقة الدور المزدوج الذي يقوم
يستريج • وفي هذه الحالة يستطيع المحامي أن يتخذ من
ترافورد (وقد اختطفها مع جارتويت) رهينة يتهدد بها أصحا
الفندق ورفاقه ••

ولكنه لم يستقبل استقبالا سيئا •• ولم يرتب أحد في
•• فأدرك من هذا لان لا شأن للوبين برجال الفندق
انما يعمل لحسابه الخاص فما كان منه الا أن بث في
ان لوبين شريك لجارتويت وانهما هما اللذان اختطفا
• ولعله نصحهم بأن يرضخوا لمطالب جارتويت ابقاء
حياة جوليا •
كانت هذه هي خطة المحامي • ولكنه غفل عن نقطة
ـدة قد تهدم مزاعمه وقد يجد فيها لوبين ما ينقذه من
ـطته •
فقال على الفور مقتنصا فرصة الوجوم التي عرت سامعيه:
ـ ومع ذلك ففي وسعي أن أقدم اليكم الدليل •• وهذا
ـليل لن يدعم كل كلمة قلتها ولكنه على الاقل سيثبت لكم
لست كاذبا •• انى لم أحضر الى هذا الفندق من تلقاء
وانما أتيت بناء على طلب شخص يقيم في هذا الفندق•
فقال فوس متسائلا :
ـ ومن يكون هذا الشخص ؟
فكان الجواب :
جوليا • !
حملقوا فيه برهة في حيرة وذهول وقد مشت الريبة في
ـهم •
ورفع جيفرول يده المرتعدة وصوب مسدسه الى لوبين
يقول :
ـ هذا كذب ! انك تفترى • ! ان جوليا لا تعرف شيئا
فأجابه لوبين في هدوء :
ـ ومن أجل هذا كتبت الى •• استدعتني لانها لا تعرف
! ان خطابها في جيب جاكتتي فاقرأه •
وتناول بورتمور الخطاب وقدمه الى جيفرول قائلا :
ـ أهذا خط ابنة أخيك • ؟

فأحنى جيفرول رأسه وقال في ذهول :
ــ يا الهي ٠ ! انه خطها ٠ !
فتناول منه فوس الخطاب وقرأه ٠ ثم قدمه الى بورتمو
ليطلع عليه بدوره ٠ وجعلوا جميعا يتبادلون نظرات الحـ
الاستغراب وقد اشتد وجومهـــم وبدت امارات الحيرة
وجوههم ٠
واخيرا قطع فيمز السكوت بقوله :
ــ هذا الخطاب يغير وجه المسألة ولو الى حد ما ٠
فسعل بورتمور وقال :
ــ قص علينا حكايتك مرة أخرى ٠
وللمرة الثانية سرد عليهم لوبين ما وقع ولم يقاطعه احـ
منهم في خلال حديثه ٠
فلما فرغ جعلوا يتبادلون نظرات قلقة حائرة ولاح علـ
وجوههم انهم نادمون على ما فعلوا ٠ وشعروا بأنهم أساءو
الى لوبين بغير حق وان من المحتمل أن تكون قصته منطوية عـ
الحقيقة ٠٠٠ أو على شيء من الحقيقة ٠
وتحول ثلاثتهم (اذ كان كين غائبا) الى جيفرول وفي
نظراتهم ما يدل على انهم يريدون منه أن يتولى عنهم الحديث
فقد كان الموقف بالنسبة اليهم أجل من أن ينفع فيه مجرد
الاعتذار ٠
ولم يكن جيفرول قد انتظر هذه النظرة منهم ليخفض
بسبسه فقد فعل ذلك من تلقاء نفســـه وان كان وجهه لا
زال شاحبا ٠
وقال جيفرول في صوته المتهدج :
ــ هذا معناه ان جارثويت هو الذى اختطفها ٠ ! واذا
كان يسترنج قد انضم الى جارثويت فان ٠/٠ ولكن لا ٠٠ انى
اعتقد أن يسترنج هو الذى دفع جارثويت الى هذا العمل وهو

الذى كشف له السر ليتقاسما الربح معا ٠٠ وهذا معناه انما
خدعنا وان يسترنج وشريكه سيستغلان الجهود الجبـــارة
التى بذلناها وسيخصان نفسيهما بالغنيمة ٠
وفجأة انقلب الموقف ولم يعد لوبين متهما كما كان منذ
لحظات وانما ارتد زعيما يدير دفة الامور فقد تحول اليـــه
جيفرول وقال متسائلا فى لهجة تنطوى على الضراعة :
ــ والآن ما عسانا نصنع ٠ ؟
فابتسم لوبين ثم قال :
ــ انى لن أتردد فى مساعدتكم ٠٠ ولـــكن هذه القيود
تشل ذهنى وتمنعنى عن التفكير ٠
فقال الكابتن فوس :
ــ انى آسف جدا يا صديقى ٠
واقترب من لوبين ليفك قيوده ٠ ولكن قبل ان يمد اليه
يده سمع وقع اقدام خارج الغرفة ثم فتح البـــاب فى حركة
عنيفة ٠
وعلى العتبة وقف العملاق كين ٠ كان قميصه ممزقا ٠
وقد اسند رأسه بيده وهو يترنح ٠ وكانت أصـــابعه ملوثة
بالدماء ٠ !
أدار كين بصره في الحاضرين ثم تهالك على أحد المقاعد
وقال في صوت مبحوح وهو يومىء الى لوبين :
ــ لقد بقى لنا هذا النذل على الاقل ٠٠
فقال بورتمور ليسأله في دهشة واستغراب :
ــ عم تتحدث ٠٠ ؟ لقد أخطأنا في حق هذا الرجل ٠٠
انه ليس خصما لنا ٠ ولكن الذى جرى ؟
فنظر كين الى لوبين بعينين ترميان بالشرر وقال
ــ ليس خصما لنا ٠/٠ ! ان شريكه ٠٠ ذلك الامريكى
الاحمق قد خرج الان ٠٠ منذ لحظات ٠٠ في أثر يسترنج ٠

وقد انقض على وضربني بمقبض مسدسه فصرعني أرضا .. وعندما استفقت كان قد اختفى .. !

الفصل التاسع

انصت لوبين الى هذه الكلمات وهو فى عجب من الامر حتى لقد ظن نفسه حالما ...

ترى ما الذى حفز هوبى بريجز الى هذا السلوك .. ؟ وكيف يلتمس له عذرا عما فعل .. ؟

قال لوبين فى نفسه :

ـ لا ريب أن هوبى فقد عقله واختبل !

وكان هذا هو التفسير الذى استطاع أن يقع عليه ان لهوبى عقلاء من طراز فذ . ومن المستحيل أن يستطيع المرء مهما أوتى من الذكاء ان يتابع تطورات الخواطر التى تزدحم فى هذا العقل الشاذ .. ان هوبى اذا فكر لا يعرف منطقا او استنتاجا .. فانى للوبين ان يدرك حقيقة البواعث التى دعته الى الانقضاض على كين .. ؟

وما سمع بورتمور نبأ ماحدث حتى عاد الى نغمةالتهديد والوعيد والنذر لوبين بتعذيبه ان لم ينبئه بمكان جوليا . فقد كان اعتداء هوبى على كين قرينة على أن لهما ضلعا مع بسترنج وجارثويت .

على أن رفاق بورتمور ما زالوا به حتى صرفوه عن ايذاء لوبين . فقد كان خطاب جوليا تكأة بددت الى حد غير قليل الشبهات التى تكتنفه ولقد أكد جيفرول لاصحابه أن الخطاب غير مزور . واستبعد فوس فكرة التزوير اطلاقا . فان فى اقدام لوبين على تزوير الخطاب مقدما ما يدل على أن له قدرة فذة على التنبؤ والتأهب لما سيكون وهذا فرض غير معقول .

أما كين فانحاز الى صف بورتمور ضد لوبين . وهو معذور فى ذلك اذ كانت الضربة التى نالها من مسدس هوبى

لا زالت تؤلمه . وعلى النقيض منهما كان جيفرول قد بدا يلين وبهذا متخذا من الخطاب سببا الى الظن بان لوبين انما جاء لمساعدة جوليا لا لاختطافها .

وفى أثناء الحوار الذى دار استطاع لوبين أن يجمع معلومات أخرى ، عرف أن اللحظة الحاسمة قد اقتربت . بل لقد فهم ان هذه الليلة بالذات كانت مضروبة موعدا للعمل الفاصل .. لقد دبر كل شيء وهيىء العمل ولم تبق الاالضربة الاخيرة .. ولقد زار بسترنج السجن في اليوم السابق لينبه موكله السجين وليذكره باقتراب الساعة وبضرورة الاستعداد

ولقد اصغى لوبين الى هذا الحديث وضم معلوماته بعضها الى بعض ، ووصل ما بين الحلقات المفقودة .

وتدفقت الدماء في عروقه !

واختتم جيفرول الحديث بقوله :

ـ ومع ذلك فما جدوى البحث عن جوليا ؟ لقد أنذرنا جارثويت بما ينوى أن يفعل اذا نحن حاولنا استعادة جوليا . وانى اعتقد أنه لن يحجم عن تنفيذ وعيده . وما كان لى أن اعرض الفتاة للموت .

فقال بورتمور مقترحا :

ـ ولم لا تخطر البوليس بالامر . ؟

فهز صاحب الفندق رأسه قائلا :

ـ ليس في هذا ما يغنى عن الامر شيئا . فقد توعد جارثويت بقتلها ان نحن ابلغنا البوليس . وحتى اذا قبض عليه فسينتقم منا بالافضاء بكل ما يعلم . وهذا معناه القبض علينا جميعاوتقديمنا الى المحاكمة . فما الداعي الى انتضحوا بانفسكم من اجلي ومن أجل ابنة أخى .. ؟ نعم نعم .. انى أعلم أنكم ستقولون أنكم لا تحفلون ولا تبالون . ولكنى لا أرضى لكم ذلك .. يمكننا أن نستمر في عملنا وان نسلهم «ب.و.»

مقابل اعادة جوليا الينا · وبعد ذلك نستطيع أن نعيد اليه شريكهم هذا مقابل استعادة « ب · و · »

وارسل جيفرول بصره الى لوبين وعلى شفتيه ابتسا اطمئنان ·· اذ كان على رغم خطاب جوليا لا يزال يعتقد ا لوبين شريك جارثويت ·

ثم تركوه موثق القياد وخرجوا من المكتب ·

كان لوبين منذ نصف ساعة في مازق حرج ·· ثم استطا بلباقته ودهائه وسعة حيلته أن يغير وجه المسالة فلاذوا ب واولوه تسيير الدفة وقالوا يسالونه :

ـ وماذا نصنع الان ؟

ثم انقلب الحال ففقد زعامته بسبب تلك الغلطـة التر ارتكبها هوبي بريجز اذ اعتدى على كين ·

وبعد غيبة قصيرة رجع اليه أحدهم يحمل الطعام فف وثاق يده وجلس يرقبه وهو شاهر مسدسـه · فلما فر لوبين من طعامه اوثقه كما كان وانصرف ·

اخذت الساعات تتابع ولوبين جالس على احد المقاعد مشدود الوثاق يقلب وجوه الراى فى المسالة محاولا ان ينتهي الى خطة تنقذه من هذا المازق وتمكنه من العمل حين تحـل اللحظة الفاصلة ·

واخذ لوبين يلوى يديه ويثنيهما محاولا أن يتملص من قيوده فلم تكن للامر الا نتيجة واحدة هى انغراز السلوك فى لحمه حتى لقد أدمت بشرته · فتنهد يائسا ·

وارسلت الساعة تسع دقات ثم ارسلت عشرا ·

وبعد ذلك سمع وقع خطوات وفتح باب الغرفة ودخل الفرسان الاربعة يتقدمهم جيفرول · وكانوا خالعين ستراتهم حاسرين الاكمام عن أذرعهم البيضاء · ولم يستغرب لوبين بياض سواعدهم وخشونة أيديهم بعد أن انكشف له السر ·

بحفر النفق تحت الارض يستلزم مجهودا بدنيا شاقا تقسو له الايدى · وليس تحت الارض شمس تلوح البشرة ·

سار جيفرول الى الخزانة التى تتصدر الغرفة والمشيدة فى الجدار ففتحها · وضغط زرا فى داخلها فاضىء مصباح كهربائى يتدلى من سقفها · ولم تكن فى الخزانة رفوف وانما كان هناك فراغ اسود مكان الرفوف وراس سلم ينحدر الى اسفل داخل الخزانة ·

ولم يدهش لوبين لذلك اذ خمن الحقيقة منـذ الليلة الماضية ·· لا بل لم يدهشه الضوء الكهربائى المخبـأ فى الخزانة وهو يعلم أن الفندق غير مجهز بالتيـار الكهربائى · فقد اكتشف بالامس ذلك السلك الممتد من المجمع العام الى الخارج · ولم يغب عنه أن التيـار المسروق لا يستعمل فى الاضاءة فقط · وانما يستعمل أيضا فى انجاز عمـل يقتضى قوة كهربائية مرتفعة ·

وتحول جيفرول الى لوبين بعد ان فتح الخزانة وامتحن قيوده ليطمئن الى متانتها ثم قال :

ـ للمرة الاخيرة : أتحب أن تفضى الينا بالحقيقة ؟

وكان صوته مبحوحا متهدجا كأنما يتوسل ولا يتوعد ·

وقال لوبين فى غضب :

ـ لقد افضيت اليـك بالحقيقة ·· ولا أسـتطيع أن اغيرها ·· انى ارثى لحالك ولكن ليس فى وسعى أن أفعـل من أجلك شيئا · كما انى أكره أن أظل مقيدا ، واخشى عندما أتمكن من الفرار أن اطالبكم بتعويض عمـا لحقنى من اهانة واعتداء على حريتى ·

فقال بورتمور متهكما :

ـ هذا اذا استطعت ان تفر ·

وكان بورتمور يحمـل فى يده شمعة وكميـة من

الديناميت والفتيـــل ولم يغب عن لوبين الغـــرض الذي سيستعمل فيه هذا الديناميت ، فبعد انقاذ السجين والنزول الى النفـــق ينسف النفق حتى يتعذر عـــلى رجال البوليس مطاردة الهارب ويستحيل عليهم معرفة الاتجاه الذي سار فيه تحت الارض الا بعـــد رفع الحجارة والانقاض · ورفعهـــا لا يستغرق اقل من اسبوع أو اسبوعين يتمكن في خلالهمـــا السجين واعوانه من الفرار والسفر الى الخارج ·

ودخل الرجال الخمســـة الى الخزانة وهبطوا السلـــم متحدرين الى الاسفل وما لبثـــوا أن اختفوا · ولكنهم تركوا بابها مفتوحا والنور مضاء ·

وللمرة الثانيـــة حاول لوبين أن يتملص من قيـــوده واستعصى عليه الامر ولم تزده المحاولة الا عذابا حتى لقـــد خيل اليه أن دماءه احتبست وكفت عن الجريان في عروقه · فظل واجما على مقعده يترقب مصيره في هدوء : لو أن جولي تروفورد موجودة لانقذته · ولكنها اختطفت ·· ولو أن هوبي بريجز حاضرا لخف الى نجدته · ولكنه غادر الفندق في مهمة غير مفهومة ! ·

وأخذت الدقائق تتتـــابع حتى اشرفت الساعة عـــلى الحادية عشرة ··

وفجاة سمع وقع اقدام خارج الغرفة · وقع اقـــدام حذرة تسير متسللة ··

وامسكت الاقدام عن المشي خارج الباب · وسمـــع صوت صاحبها وهو يتنفس · !

دار المقبض في حركة خفيفة · ولكن الباب كان موصدا

من الداخل بالمفتاح اذ اغلقه جيفرول ورفاقه قبل نزولهم الى النفق ·

ومن خلف الباب سمع لوبين صوتا يهمس :

ـ هل انت هنا يا زعيمى ؟

فطفر السرور الى قلب لوبين وهتف :

ـ أهذا أنت يا ملاكى المنقذ !

الفصل العاشر

انبعث لوبين واقفا واخذ يثب ويقفز الى الباب اذ كانت قدماه مقيدتين أيضا · حتى اذا بلغه أمسك المفتاح بأسنانه وانتزعه من الثقب واسقطه على الارض ثم انطرح على مقربة منه ودفعه بقدمه من تحت الباب · فتناوله هوبى وفتـــح الباب ودخل يحيى زعيمه بابتسامة مشرقة شاعت في وجهه الدميم ·

ثم شرع يفك قيود لوبين في بطء كأن ليس هناك ما يدعو الى التعجل وفي خلال ذلك جعل لوبين يهدىء من ثورة اعصابه كلما ذكر ان ما ارتكبه هوبى هو السبب في نصف هذه المتاعب :

وقال لوبين في صوت حاول ان يجعله هادئا :

ـ ليت شعرى في أى جحيم كنت ؟

فنظر اليه هوبى عاتبا فقد كان يتوقع ان ينهال عليه لوبين لائما مقبلا بدلا من أن ينحى عليه باللائمة ·

وشعر هوبى ـ على رغم غباوته ـ أن هناك شيئا قام بينه وبين زعيمه ، لقد كانا حتى هذه اللحظة عـــلى انسجام تام فما الذى حدث حتى غير عليه قلب زعيمه وجعله يلومه وهو الذى لم يفعل الا كل ما يستحق الثناء والتقدير ·

وقال هوبي محاولا ان يجلو سوء التفاهم ويرد الامور الى نصابها في جملة مختصرة وجيزة :

ـ لقد وقفت استرق السمع خلف الباب ٠

فقال لوبين وهو يحمل نفسه على الصبر :

ـ اى باب ؟ ٠٠

فقال هوبي وهو يحمل نفسه بدوره على الصبر :

ـ هذا الباب طبعا ! ٠٠

وللمرة الاولى شعر بأن الذكاء ينقص زعيمــه وأن له ذهنا متبلدا ٠

ـ ٠ لقد فهمت من حديثهم ان جوليا اختطفت ، ولما كنت قد اخبرتنى أن المحامي مشترك في مؤامــرة النفق لم اتردد عندما رأيت الرجل يغــادر الفندق في ان اضرب الرجــل بمسدسي وأتعقب الرجل ٠

وامسك هوبي بريجز عند هذا وقد خانته الالفاظ فلم يجد من الكلمات ما يعبر به عما حدث بأكثر مما قال ، ولكن لوبين لحسن الحظ كان على علم بشيء من التفاصــيل فتمكن من أن يميز بين رجل ورجل وأن يفرق بين من ضرب وبين من اقتفى هوبي أثره ! ٠ وكان هــذا هو كل ما اســتطاع ان يفهمه ! ٠

تنهد لوبين في يأس وقال :

ـ اسمع يا هوبي ٠٠ انك تعرف انى في بعض الاحيان اصبح غبيا ٠٠

فقاطعه هوبي بقوله :

ـ وهذا ما كنت أحدث به نفسي الآن ٠

وقال لوبين معتذرا :

ـ أسألك ان تغفر لى غباوتى ، وأن تساعدنى على الفهم خطوة فخطوة ٠ فهمت منك انك تبعتنى الى هذه الغرفة عندما جئت اليها مع جيفرول وانك وقفت خارج الباب تتسمع ٠٠ أليس كذلك ؟ ٠

ـ هذا صحيح يا زعيمى ٠

ـ الم يفاجئك احد وانت تفعل ذلك ؟

فقال هوبي في شيء من الانزعاج كأنما يخشى ان يفاجأ الآن فيعاقب على أنه استرق السمع منذ عشر ساعات :

ـ لم افكر في ذلك في تلك اللحظة ٠

ـ وسمعتهم وهم يقولون ان جوليا اختطفت ؟

ـ نعم يا زعيمى ٠

ـ وتحمست للامر فرأيت أن تنتقم ورأيت ان تستعمل مسدسك ؟

ـ الحقيقة يا زعيمى هى ٠٠

فقال لوبين مقاطعا :

ـ واذ ذاك رأيت المحامي يغادر الفندق ؟

ـ رأيته يخرج من قاعة الطعام فتبعته ، ولكن الرجل الآخر حاول أن يستوقفنى فما كان منى الا أن صرعته بضربة على رأسه من مقبض مسدسي ٠

ـ وما الذى حدث بعد ذلك ؟

ـ ركب المحامي سيارته دون أن يعــرف انى صرعت الرجل الآخر ، فتعلقت بمؤخرتها دون أن يرانى ٠

ـ والى أين ذهبتما ؟

ـ لا ادرى يا زعيمى ٠٠ في اول الامر ذهبنا الى الميناء فاستقل المحامي قاربا واستحال على أن اتعقبه اذ لم اجــد

قاربا آخر . واظن انه رآني وأنا اتمشى على الرصيف بعـ
عن القارب ، فلـــم أر ما يدعوني الى التستـــر وجلست
سيارته أنتظر عودته .. وقد مضى بقاربه الى يخت في الـ
وصعد الى ظهره وقضى هناك نحو أربع ساعات حتى خطر
انه لن يرجع ، فنزلت ثانية من السيارة واخذت أتمشى عـ
الرصـيف، فجعل اصحاب قوارب الصيد يرمقونني بنظرا
وسألني احدهم عما اذا كنت أبغي استئجار قارب فأجـ
بالنفي . ثم لمحت المحـــامي راجعا من اليخت ، فعدت
السيارة وتعلقت بمؤخرتها كما فعلت من قبل ، فاستـــو
على مقعده وقطعنا نحو ستة أميال ، ثم انعطف الى ممر ضـ
وأوقف السيارة امام بيت معروض للايجار . ويظهـــر
البيت حقيقة معروض للايجار .. فقد اقتربت من احـــ
نوافذه المطلة على الحديقة ورميت ببصري الى الداخل فلم ا
فيه قطعة واحدة من الاثاث .. كما لمحت ذا الشـــعر الاحـ
واقفا يتبادل الحديث مع المحامي .. فمـــا كان مني الا ا
تحولت الى باب البيت وقد كان مفتوحا ودخلت .. فبوغـ
حين رآياني ورفعا أيديهما الى ما فوق الرؤوس تحت تهـديد
مسدسي .

فقال لوبين يسأله :

ـ الم يبديا شيئا من المقاومة ؟

فقال هوبي في استكبار :

ـ عندما أباغت اشـــخاصا واهددهم بمسدسي يؤثرون
التسليم لانهم يعلمون اني لا أتردد في اطلاق النار .

ثم استرسل هوبي قائلا :

ـ وكنت أحمل معي قطعة من السلك فشددت وثاقهما
اخذت في استجوابهما فقلت لهما : « ماذا فعلتما بجوليا
أين خبأتماها ؟ » . ولكنهما لاذا بالصمت وأبيا أن يجيبا
على سؤالي .

ـ وبعد ذلك ؟ .

فهرش هوبي رأسه قائلا :

ـ وبعد ذلك عرفت كيف ارغمهما على الكلام .

ولم يكن لوبين ليجهل الطريقة التي يلجأ اليها هوبي
حين يريد ان يرغم أحدا على الكلام ولكنه رأى على سـبيل
الاستفسار أن يسأله :

ـ وكيف ارغمتهما :

ـ نزعت حذاء المحامي وأحرقت قدميه بالنـار فاضطر
ان يعترف .

وكان لوبين متلهفا الى النتيجة فقال :

ـ وهل اكتشفت مخبأ جوليا ؟

فقال هوبي في زهو وخيلاء :

ـ نعم يا زعيمي ..

ـ واين كان مخبأها ؟

فكان الجواب :

ـ في الغرفة المجاورة لهما .

حملق لوبين برهـة في وجـه هوبي ثم انفجـر يضحك ..!
يغلب الرجلين ويحرق أقدامهما بالنار دون أن يخطر له أن
يفتش البيت قبل ذلك ..! ياله من ذكاء .!

وقال لوبين وهو يغلب الضحك :

ـ وماذا فعلت بعد ذلك ؟٠ اعتذرت اليهما ٠ ؟
فهرش هوبى رأسه مرة اخرى وقال :

وضعتهما فى السيارة مقيدين واركبت جوليا الى جانبى وعدنا الى الفندق ٠ ان جوليا الآن فى مخدعها ٠ أما المحامى وصاحبه فمقيدان فى قاعة الطعام ٠

ونهض لوبين واقفا واخذ يتمشى فى الغرفة مفكرا ٠٠ كانت الدقائق تمر تباعا ولكنه لم يكن قد سمع بعد دوى الانفجار الذى سيسد النفق ٠
فادرك أن « حملة الانقاذ » لم تنجز مهمتها بعد وان عليه أن يتهيأ لمجابهة الحوادث المنتظرة ٠
وتحول لوبين الى هوبى سائلا :

ـ الم يعترف المحامى وصاحبه بشىء آخروانت تعذبهما ؟٠
ـ نعم ٠٠ اعترفا بأشياء كثيرة ٠

وقص عليه هوبى ما أفضيا به ٠ فاستطاع لوبين بذلك ان يكمل النقص فى حم اللغز الذى اهتدى اليه ٠ وأدرك أن الحظ حالفه وانه وقع على مغامرة ستدر عليه مئات الألوف من الجنيهات ٠
وقال يسأل هوبى :
ـ وهل استطعت أن تستولى على دفتر الشيكات ؟
وأبرز هوبى دفتر الشيكات ٠!

كما ناوله هوبى أحد المسدسين الذين اعتاد أن يحملهما ٠ واشعل لوبين سيجارة أخرى ومضى يفكر ٠

ثم تحول هوبى ونخسه فى معدته وهو يبتسم وقال :
ـ اذا هزأت مرة أخرى بذكائك فلا تتردد فى أن تلكمنى

لقد قمت فى هذه المغامرة بعمل عظيم يجعلنى اعتقد ان لك مخا ٠٠ ! والآن عليك بمراقبة المحامى وشريكه فان لدى عملا يشغلنى ٠ ويمكنك ! تنشد لهما بعض اشعارك الا اذا كانا يفضلان على ذلك أن تشوى اقدامهما بالنار ٠!
وما خرج هوبى من الغرفة حتى دخل لوبين الى الخزانة واخذ يهبط الدرج ٠ فالقى نفسه فى نفق طويل ممتد تحت الارض ٠ وكان النفق مضاء بشريات كهربائية متباعدة الى درجة جعلت هناك نقطا مظلمة ٠

وفى اول النفق رأى مصعدا من الطراز الذى يرفع فيه التراب من الانفاق الى سطح الارض ٠ كما رأى قضيبا ممتدا على الارض لتجرى فوقه عربة نقل صغيرة كانت على قيد خطوات منه ٠ ولقد كان جريان هذه العربة فوق القضيب هو السبب فى القلقلة التى سمعها مع جوليا والتى يتوهم من يسمعها أن هناك سيارة لورى تمر على مقربة من الفندق
وسار لوبين متتبعا القضبان حتى انتهى الى آلة ضخمة عرف على الفور انها جهاز كهربائى للتنقيب وحفر الارض ٠ وكان هذا هو السر (كما توقع) فى سرقة التيار الكهربائى وايصاله الى النفق ٠٠ وبهذه الآلة الكهربائية استطاع جيفرول وفرسانه الاربعة ان يحفروا ذلك النفق فى وقت قصير مع قلة عددهم ٠ فلم يكن مطلوبا منهم الا ادارة الآلة الكهربائية فتتولى عنهم الحفر ونقل التراب الى المركبة فتتحرك على القضبان حتى تفرغ شحنتها فى المصعد ٠ ويرتفع المصعد الى الجاراج ويفرغ شحنته بدوره فى سيارة اللورى ٠ اما الجدار الذى تستند اليه مؤخرة اللورى ٠ فليس فى الواقع الا بابا سريا اذا فتح انكشف عن المصعد المملوء بالتراب ٠

واستدل لوبين من هذه الاكتشافات على أن استنتاجاته صحيحة وانه اصاب في نظريته ·

لم يكن ارتفاع النفق ليزيد على ستة أقدام · فاضطر أن يمشي وقد أحنى ظهره قليلا · وكان كلما تقدم خطوة في النفق ازداد اعجابا بما بذل الرجال الخمسة من جهد جبار ·· لقد انباته جوليا بان عمها مهندس متقاعد · ولا شك أن رفاقه الاربعة الضباط السابقين في الجيش من المهندسين الحربيين الذين يشتغلون في اقامة الخنادق والانفاق الحربية · فمكنتهم علومهم وخبراتهم الفنية من شق هذا النفق ·

واشتد اعجابه بهم حين ذكر انه لابد لهم من خبرة عظيمة ليتمكنوا من مد النفق الى ما تحت غرفة معينة من غرف سجن لاركستون · فانهم ان اخطأوا الحساب استحال عليهم أن ينقذوا موكلهم السجين ·

وعندما توغل لوبين في النفق سمع وقع اقدام سريعة مقبلة من اقصى النفق · وتناهى الى سمعه صوت بورتمور والصدى يرجعه في أرجاء النفق وهو يصيح قائلا :

ـ إحذروا ·· !

ووثب لوبين الى الخلف والتصق بالجدار وتخير لموقفه مكانا مختفيا ·

واقترب منه الرجال وهم يركضون · وان هي الا لحظات حتى دوى صوت انفجار هائل ضاعف من شدته ترجيع الأصداء

وهي تتكسر على جدران النفق حتى لقد خيل للوبين ان الارض مادت وان زلزالا قلب عاليها سافلها ! وسرى في النفق تيار شديد من الهواء في هبة عنيفة احتملته كالعاصفة الهوجاء وقذفت به بضع ياردات الى الوراء كأنه ريشة في مهب الانواء والاعاصير !

ونهض لوبين واقفا وقد اصمه الدوي وأذهلته الصدمة، وجعل يصغي الى الاحجار والانقاض وهي تتساقط وتنهار من اثر الانفجار · ولقد بلغ من شدة الانفجار أن تهشمت جميع المصابيح الكهربائية وساد النفق ظلام حالك ·

ثم سمع صوت جيفرول يتكلم ·· وفرح حين عرف أن الصوت على قيد خطوات منه ·

قال جيفرول متسائلا :

ـ أكلنا بخير ؟

ثم سمع صوت فوس وهو يجيب قائلا :

ـ اني بخير ·

وأخذوا يجيبون واحدا بعد الآخر ·

وكان بين الاجابات صوت سادس ·· صوت لم يسمعه من قبل !

واضاء احدهم مشعلا كهربائيا فسقط الضوء على صاحب الصوت السادس ولم يكن بينه وبين لوبين الا ثلاث ياردات ··

كان ضئيل الجسد شاحب اللون ولا يزال يرتدى ثياب السجن ٠

وأمسك لوبين مسدسه بيده اليمنى ومصباحه الكهربائى بيده اليسرى وسدد الهدف الى المشعل الكهربائى الذى يحمله أحد الرجال الستة ٠

ثم أطلق النار ٠٠ !

وفى اللحظة التي انطلقت فيها الرصاصة كان لوبين قد أشعل مصباحه الكهربائى وغمر الرجال الستة بالضوء الساطع ٠ وصاح بهم :

ـ ارفعو الايدى والا اطلقت النار ٠٠!

وكانت المفاجأة قد أذهلتهم فوقفوا جامدين متبلدين كأنما انشقت الارض عن شيطان رجيم ثم رفعوا ايديهم الى ما فوق رؤوسهم ٠

ولم يكن لوبين ليجهل شخصية الرجل السادس ٠ فمنذ شهور قليلة قدم الى المحاكمة ونشرت صورته فى كل صحيفة من صحف انجلترا وحكمت عليه المحكمة بالسجن عشر سنوات فى الاشغال الشاقة ٠

ونظر لوبين الى الرجل السادس ثم أحنى رأسه قائلا :

ـ مستر بيلامى ويدج ٠٠ ؟ أليس كذلك ٠٠ !

الفصل الحادى عشر

استرسل ارمين لوبين قائلا :

ـ حكمت عليك محكمة الجنايات بالسجن عشرة أعوام بتهمة التزوير والاختلاس ... لقد كنت صرافا فى شركة سيارات نوفا فاستطعت أن تختلس من أموالها أكثر من مليونى جنيه . فلما اكتشفت الشركة أمرك وقدمتك الى المحاكمة استحال على البوليس أن يهتدى الى المخبأ الذى خبأت فيه هذه الثروة العظيمة . ولم يكن هناك شك فى انك أودعت الأموال المختلسة فى بعض المصارف تحت اسم مستعار .. فما هو هذا الاسم المستعار .. ؟ ذلك هو السؤال الذى استحال على البوليس أن يهتدى الى جواب له . فقد أصررت على عدم الافضاء بأى اعتراف ... ولو أنه انتهى اليك أن الشركة ارتابت فى أمرك لاستطعت أن تفر بمليونيك الى أمريكا الجنوبية لتقيم هناك دون أن يلحقك شىء ولكنك لسوء حظك فوجئت بالاعتقال .

وسكت لوبين برهة ثم استتلى قائلا :

ـ ومع ذلك فانك لم تحفل بالاعتقال . لقد استخدمت المحامى يسترنج وهو معروف فى دوائر المحاماة بأنه خرب الذمة وأن المجرمين يلجأون اليه عادة لكى يأتيهم بالبراءة بالاستعانة بشهود الزور . ولسوء حظك مرة أخرى أخفق يسترنج فى تبرئتك . ولكن ذهنك تفتق عن فكرة . ففى

اللحظة التى صدر فيها الحكم عليك بالسجن عشر سنوات صحت بملء صوتك تقول لمن يخرجك من سجن لاركستون وانك مستعد أن تدفع فضلا عن هذا جميع النفقات التى يتكبدها منقذك فى سبيل اخراجك .

وبعد سكتة قصيرة عاد لوبين الى الحديث قائلا :

ـ وكان المحامى يسترنج بحكم مهنته وبصفته وكيلا عنك أن يتردد عليك فى السجن . فاستطاع بذلك أن يكون حلقة الاتصال بينك وبين الذين سيتولون انقاذك . فكنت توقع شيكات النفقات التى يقدمها اليك كلما زارك . وقد لجأ يسترنج الى هؤلاء الرجال الخمسة وهم من المهندسين المحنكين المتقاعدين واستعان بهم على تنفيذ هذا المشروع الجرىء فابتاعوا الفندق من مالكه الأصلى واستقروا فيه وشرعوا يحفرون النفق بحيث ينتهى الى اسفل الغرفة التى خصصت لك فى السجن

وأمسك لوبين قليلا ثم قال :

ـ ولكن يسترنج جشع طماع .. لم يقنع بالاجر الذى وعدته به وانما طمع فيما هو أكثر من ذلك ... طمع فى أن يظفر ايضا بنصف الجائزة التى وعدت بها من ينقذك . فما كان منه الا ان أتى بمجرم يدعى جرانويت ودفعه الى مناضلة منقذيك الخمسة ... كانت خطة يسترنج ترمى الى ترك المهندسين الخمسة مستمرين فى العمل حتى اذا شقوا النفق أتى بجارنويت قبيل اللحظة الفاصلة فقبض عليهم وأزاحهم من الطريق وتولى جارنويت بنفسه القيام بالخطوة الأخيرة ..

أى بازالة الطبقة الرقيقة التى تفصل بين سجنك وبين النفق فتعتقد بذلك انه هو الذى انقذك فتمنحه النصف مليون جنيه فيقتسمه مع المحامى يسترنج ولكن جارثويت لم يفلح فى زحزحة الرجال الخمسة وتهديدهم ليتخلوا له عما بقى من مهمة انقاذك . فما كان منه الا أن اختطفت ابنة أخ جيفرول وحبسها رهينة يهدد بها جيفرول ورفاقه حتى يخلو له الميدان فينفرد بالجائزة دونهم ...

وارتسمت على شفتى لوبين ابتسامة متهكمة وقال :

ـ ولكن لسوء حظ الجميع .. عداى طبعا .. حشرت اصبعى فى الامر .

كان بيلامى وبلدج ينصتان الى حديث لوبين وقد امتقع وجهه خوفا . ثم قال فى صوت متهدج :

ـ ولكن من أنت ..؟

ـ اننى أرسين لوبين .. واظنك سمعت عنى .

ثم ضحك وأردف يقول :

ـ ويجب أن تحمد الله على انك ستجد فى رجلا شريفا . فلولا تداخل لسلبك يسترنج النصف مليون جنيه دون ان يكون له حق فى بنس واحد منه . ولكن مما يؤسف له ان جيفرول ورفاقه أساءوا الظن بى . وسببوا لى بعض المتاعب بسبب حماقتهم .

ثم تحول الى جيفرول قائلا :

ـ وعلى فكرة يجب أن انبئك أيها الأخ ان جوليا قد رجعت.

فجحم صاحب الفندق يحملق فيه دون أن ينطق بكلمة واحدة .. فاسترسل لوبين قائلا :

ـ انى لا أكذب .. ان صديقى الأمريكى الأحمق (واظنكم أطلقتم عليه هذا اللقب) هو الذى انقذها وأعادها الى الفندق. ويمكنك ان تتحقق من الأمر اذا صعدت الى مخدعها . والآن هيا بنا نصعد الى المكتب لنتم حديثنا .

وساقهم امامه فى النفق كالانعام بعد أن جرد جيفرول من مسدسه .

ولما احتوتهم غرفة المكتب التفت الى جيفرول قائلا :

ـ يمكنك ان تمضى الى مخدع ابنة اخيك لتحييها ولتسألها عن حقيقة ما حدث .. سلها عمن اختطفها وعمن انقذها .. وسنظل فى انتظارك .

وبعد دقائق رجع اليهم جيفرول . وتحول اليه الرجال مستفسرين فقرأوا الجواب فى قسمات وجهه .

تكلم جيفرول قائلا : ان الامر صحيح لقد رجعت جوليا .. انى اعتذر اليك يا مسيو لوبين .

فابتسم لوبين وقال :

ـ تعتذر الى . ؟ وستعتذر طبعا الى هوبى . ؟ أليس كذلك . ؟ ثم تنهد وقال :

احجز نسختك مع الباعة

فان الاعداد القادمة حافلة باروع ما كتبه

الكاتب الفرنسي الكبير

موريس لبـــلان

بطلها اللص الظريف

ارســين لوبين

ـ ولكن ما فائدة الاعتذار .. ؟ هل أســـتطيع ان اشترى قصرا وأقدم الثمن الى البائع كمية من الاعتذرات .. هل اسـتطيع ان اشترى لهوبى زجاجة من الويسـكى وادفع الاعتذار ثمنا لها .. ؟

ثم هز راسه وقال :

ـ اظن ان الاعتذار عملة لاتنفع . فيجب أن تقـــدم الى شيئا آخر . فقال بيلامى ويدمج والخوف آخذ منه :

ـ والآن ماذا تنوى ان تصنع . ؟

فابتسـم لوبين وقال :

ـ فليطمئن بالك . ليس في نيتى ان اســـلمك الى البوليس . ولكنى سأسألك أن تزيد المكافأة الموعودة قليلا. وهاك دفتر شـــيكاتك اذ أتى به هوبى من جيب محاميك يسترنج . واذا كنت ضعيف الذاكرة فدعنى اذكرك بأنك أودعت الأموال المختلسة في البنك باسم ويلدون .. لقـــد وعدت من ينقذك بنصف مليون جنيه .. اى ان كل واحد من هؤلاء المهندسين الخمسـة سيظفر بمائة مالف جنيه . ولما كنت انا وهوبى قد اشتركنا في انقاذك كما ترى حتى ولو بعدم تســـليمك الى البوليس فيجب أن تنقدنا مائتى الف .. وهاك دفتر شيكاتك فحرر شيكا بمائة الف جنيه باسم تومز وشيكا آخر باسم هوبى برنجز

وكتب بيلامى الشيكين وناولهما الى لوبين . فالتفت

هذا الى المهندسين الخمسة وقال :

ـ قلت لكم ان الاعتذار لا يكفى . فيجب أن تعوضونى عما سببتم لى من متاعب .

فقال جيفرول متسائلا :

ـ وماذا تطلب . . ؟

ـ سيصيب كل منكم مائة الف جنيه من السجين الهارب . فليدفع كل منكم الى عشرة آلاف ومثلها الى هوبى . فتكون الجملة مائة الف جنيه يتحمل كل واحد منكم عشرين الفا منها .

ثم التفت الى بيلامى وبدج وقال :

ـ والآن حرر خمسة شيكات باسمائهم على ان تكون قيمة كل شيك ثمانين الف جنيه . ثم حرر شيكين آخرين باسمى وباسم هوبى قيمة كل منهما خمسون الفا .

ولما فرغ بيلامى من تحرير الشيكات المطلوبة ناوله لوبين جواز سفر وهو يقول :

ـ وهاك جوازك اتينا به من جيب بسترنج . وهناك يخت في انتظارك في الميناء فاسرع .

ولما انصرف بيلامى وبدج قال لوبين مخاطبا هوبى :

ـ أما انت يا هوبى فأرحنا من اسرتك حتى نمضي بالسيارة الى احد الحانات لنشرب كاس انتصارنا .

وانصرف هوبى فتكلم بورتمور قائلا :

لقد اسأنا اليك يا مسيو لوبين ونحب ان نعتذر بصرف النظر عن العشرين الفا التى اخذتها

فضحك لوبين وقال :

ـ انها في نظرى اعتذار كاف .

فقال جيفرول :

ـ وما رايك في بسترنج وجارلوبيت . ؟ اتظن انهما سيبلغان البوليس باننا نحن الذين هربنا وبدج من السجن . ؟

فهز لوبين كتفيه وقال :

ـ اظن ذلك . الا اذا دفع كل منكما اليهما عشرة آلاف جنيه لتتخلصا من شرورهما

وبعد ربع ساعة رجع هوبى بريجز متهلل الوجه فقال لوبين :

ـ والآن هيا بنا لنمضي السهرة في احدى الحانات

ولكن جيفرول ورفاقه اعتذروا من الذهاب بقولهم :

ـ انا نؤثر ان ننتظر هنا مترقبين عودة بسترنج وجارلوبيت لنساومهما على الكتمان .

فقال هوبى في شيء من الاستغراب :

ـ ولكنها لن يحضرا .

فهز جيفرول راسه في حزن واسى وقال :

ـ انك لا تعرفهما .. انك لست خبيرا بهما .. انى اعرف انهماسيحضران حتما .

ولكن هوبى عاد يقول في تشبث وعناد :

ـ انهما لن يحضرا .. لقد امرنى زعيمى بان اريحه منهما .. وقول الزعيم لا يرد .

فقطب لوبين حاجبيه وقال :

ـ ماذا تعنى . ؟

فكان جواب هوبى :

لقد ارحتك منهما كما امرتنى .. اســـتاجرت قاربا بخاريا وخرجت بهما الى عرض البحر وافرغت مسدسي في صدريهما والقيت جثتيهما في الماء .

فصاح لوبين في استنكار :

ـ انك وحش في صورة انســان .. ! اترتكب جريمة القتل وتلوث يديك بالدم دون ان يكون هناك مبرر قاهر .. ؟ الا تخشى تبكيت الضمير .. ؟

فهز هوبى راسه وقال :

ـ لن يبكتنى ضميرى .. كان هناك مبرر دفعنى الى ارتكاب هذه الجريمة .

ـ وما هو هذا المبرر .. ؟

فقال هوبى مجيبا :

ـ عندما خرجنا الى عرض البحر قلت لهما : « ماذا تفعلان اذا حللت وثاقكما .. ؟ » فقالا انهما سيقفضان على ويحاولان ان يخنقانى . فما كان منى الا ان حللت وثاقهما . فهجما على . فاطلقت عليهما النار وقتلتهما وطبعـــا لن يبكتنى ضميرى لانى كنت في حالة دفاع شرعى عن نفسى .

فقال لوبين :

ـ على اية حال لم يكن هناك ما يدعوك الى ان تخلق هذا الموقف خلقا لانى اعلم انك بلا ضمير .

ولم يغضب هوبى اذ التمس العزاء في زجاجة ويسكى افرغها في جوفه . في تلك الصحراء التى لا ترتوى .. !

« تمت »